الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المركز الجامعي أحمد الونشريسي –تيسمسيلت–

معهد الأداب واللغات قسم اللغة للأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي :

الرواية العربية(عصر التجميع)

فاروق خورشيد

إعداد الطالبتين :

- عنون مريم
- حياسين الزهرة

إشراف الأستاذ :

د/ بن علي خلف الله

أعضاء اللجنة المناقشة

د.خلف الله بن علي	م.ج تيسمسيلت	مشرفا ومقررا
	م.ج تيسمسيلت	عضوا مناقشا
	م.ج تيسمسيلت	رئيسا

السنة الجامعية

2016–2017 م/1437–1438هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

مصداقاً لقوله تعالى:(لئنّ شكرتم لأزيدنّكم)صدق الله العظيم

فأولاً وقبل كل شئ الشكر لله والحمد لله حمداً كثيراً مباركاً

إنّ المقام الذي نحن فيه يفرض علينا أنّ نقدم الشكر الخالص إلى كل أساتذة اللجنة

المشرفة على مشاريع التخرج قسم اللغة العربية وآدابها كما ،نتقدم بكل فخر و إعتزاز

عظيم للأستاذ الفاضل خلف الله بن علي .

إهداء

قال تعالى:(ولا تقّل لهما أف ولا تنهرهما وقلّ لهما قولاً كريما)

بكل فخر وإعتزاز ،أهدي ثمرة جهدي إلى من أعتبرهم سرّ سعادتي والدي الكريمين اللذين لا أحيا إلا بوجودهما ،ولا أرجو من الدنيا إلاّ رضاهما وإلى كل عائلة الكريمة صغيرها وكبيرها دون إستثناء أتمنى من الله العلي القدير أنّ يحفظهم جميعاً و إلى صديقاتي ورفيقات دربي خاصة حكيمة وزميلة الغالية حياسين الزهرة وأتمنى لها ولي مزيد من النجاح والتوفيق

مريم

إهداء

إهداء أهدي ثمرة جهدي إلى شمعتين اللتين أنارتا لي الدرب ولا زالتا منبع الحنان والدفئ الذي لا ينفذ .

إلى الأم الحنونة التي غمرتني بحبها وطوقتني بفضائها، إلى التي جعلت نجاحي يوم نجاحها

–محجوبة–

إلى رمز الاحترام والفاء صاحب الفضل في تربيتي، وجعلني أعرف معنى الحياة، إلى الذي أكنّ له الاحترام والتقدير أبي المحترم –بن علال–

إلى كل من لا تكمن سعادتي إلاّ بهم وكان لهم الفضل العظيم بعد الله ورسوله، اخواتي الأعزاء، وإلى كل الأصدقاء.

الزهرة

البطاقة الفنية للكتاب

المؤَلف:الرواية العربية (عصر التجميع)

المؤلف:فاروق خورشيد

الطبعة :الثالثة

دار النشر:الشروق

البلد:بيروت

السنة:1402هـ/1982م

الحجم:المتوسط

عدد الصفحات:233 صفحة

طرح الإشكال :هل الرواية العربية فن مستحدث أم هي إمتداد إلى التراث العربي القديم؟

مقدمة

مقدمة:

إنّ الدراسة التي بين أيدينا سلطت الضوء على السرد العربي منذ نشأته قديماً إلى العصر الحديث، وهي دراسة موسومة ب"الرواية العربية عصر التجميع " المطلع على هذا الكتاب يجد فيه مادة معرفية كبيرة ومهمة ومبسطة تشمل فترة تاريخية هائلة من تاريخ الأدب العربي عموماً والسرد بوجه خاص ، فقد تتبع الكاتب ظاهرة القصّ من الجاهلية فتعرض لعلاقة الشعر بالنثر عصرئذ ، ثم ركزّ على رواية القصص منذ ذلك العصر واقفاً عند طائفة من النماذج القصصية العربية قديماً ومنها قصص (مضاض ومي ، الحارث ابن مضاض قصة ذي القرنين) ثم تعرض لكتاب أخبار ملوك اليمن ، إثر ذلك عرّج للحديث عن الملاحم الشعرية العربية وكذا كتب السيرة النبوية ، وانطلاقا من هذه العناصر التي تناولها مؤلفنا تبدو أهمية المادة المعرفية الواردة في هذا الكتاب في مجال السرد والقصص.

ولعل دافعنا إلى استقراء هذا المؤلف هو أولاً طبيعة الموضوع ، حيث إنّه ينتمي إلى تخصصنا وهو الأدب والنقد الأدبي وبالتحديد السرد ،لما لهذا الفّن الأدبي من متعة وتشويق فكما هو ملاحظ اليوم فقد طغى هذا الفّن بل وسيطر على كل الفنون الأدبية كالرواية والقصص والمسرح والأفلام والمسلسلات والتي أخذت –نقصد الفنون السردية – مكان الشعر بل وأزاحته عن موضعه ومن الأسباب الأخرى التي دفعتنا إلى اختيار هذا الكتاب هو بغية الإطلاع على مثل هذه المؤلفات المعاصرة وكذا مقارنتها بغيرها من المؤلفات.

كذلك من متطلبات التكوين المعرفي هو إعداد مثل هذه البحوث ليزود الطالب رصيده المعرفي .

أمّا الخطّة التي إ نتهجناها في قراءة هذا الكتاب هي كالأتي :

مدخل وقد تطرقنا فيه إلى نشأة الرواية العربية ومراحل تطورها إضافة إلى التعريف بالكاتب وما جاء به من أفكار ومبادئ وأهم إنجازاته في مجال الأدب على وجه العموم وفي السرديات على وجه أخصّ .

أمّا المتن فقد تضمن مجموعة من العناوين المتنوعة والمختلفة نذكر منها : – الدارسون والقصص الجاهلي – الشعر والّنثر في الجاهلية –التيار الشكلي –مراحل دراسة الرواية العربية– حركة التجميع القصصي –أنواع القصاص–،كما أنّ الكاتب قام بإدراج مجموعة من الكتب والقصص منها : كتاب التيجان –مضاض ومي –الحارث ابن مضاض–قصة ذي القرنين–كتاب من كتب– كتب أخبار ملوك اليمن –الملاحم الشعرية –كتب السيرة النبوية –سيرة ابن إسحاق،إضافة إلى ملامح مرحلة التجميع ومناقشة وردّ.بالإضافة عنصر دراسة وتقويم الذّي تناولنا فيه أهم الإعتراضات و الإنتقادات الّتي وجهة للكتاب وما حمله هدا المصنّف من إضافة نوعية للمادة المعرفية .

الخاتمة وقد تطرقنا فيها إلى أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا الكتاب وما حملهُ هذا الكتاب من إفادة في الحقل المعرفي.

وقد تتبعنا في دراستنا هذه المنهج الوصفي التحليلي بإعتبار البحث تنقيباً في السرد العربي القديم ومناقشة لأراء الباحث بالمقارنة مع آراء غيره في التخصص نفسه أمّا بخصوص منهج الكاتب فقد اتبع المنهج التاريخي المقارن

ويبدو أسلوب الكاتب مباشر وعلمي ودقيق كون الدراسة تميل إلى التعليم والتلقين حيث حاول صاحبها أنّ يفسر ظاهرة السرد العربي قديماً بالأدلة والشواهد ثم يقارنها بالظاهرة نفسها في العصر الحديث ،كما أنّنا نلمح على أسلوب الكاتب بعضاً من الإنشائية والجمالية التي ميزنه كونه روائياً وقاصاً.

مدخل

مدخل:

ظهرت الراويات العربية الأولى في سنة 1847م وكانت منذ نشأتها تحت تأثير عاملين:

الحنين إلى الماضي والافتتان بالغرب والخضوع للهيمنة ، وقد خطّت الرواية العربية خطوة جديدة على يد أمثال جبران خليل جبران وأمين الريحاني ثم ميخائيل نعيمة وفي عام 1912م صدرت رواية "زينب" للهيكل وهي التي يعتبرها نقاد الأدب العربي منعطفا هاما في مسار الرواية العربية وقد تعددت التعريفات للرواية بصيغتها الحالية حيث: "نرى في الرواية إلى جانب كونها فناً أدبياً راقياً، قطعة متحركة أوحيت من التاريخ والاقتصاد والاجتماع والسياسة والدين والطب والعلم والجنس والسحر بل والشعر والدراما والقصة والسيناريو والحوار والخطبة والرسائل والوثائق والمقال...الخ"[1]

وتعد الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي حاولت تصوير الذات والواقع وتشخيص ذاتها، إمّا بطريقة مباشرة أغير مباشرة تقوم على التماثل أو الانعكاس ،ونرى أنّ الرواية قد استوعبت جميع الخطابات واللغات والأساليب والمتطورات والأنواع والأجناس الأدبية والفنية الصغرى والكبرى إلى أنّ صارت جنساً أدبياً منفتحاً.

فهي من أجمل ألوان الأدب القصصي الذي عرفته الشعوب في غابر العصور، بأشكال ووجوه مختلفة، بدأت أخبار وحكايات قصيرة ثم تطورت على سير وتراجم متباينة الحجم والمستوى، ثم إلى قصص قصيرة فسير مطولة متعددة الأغراض والأساليب..."[2]

فالقصص كانت في القديم تعتمد على الوعظ والإرشاد، وقد أشار إلى ذلك فاروق خورشيد في كتابه الرواية العربية (عصر التجميع)ومن خلال قصة ذي القرنين، وهذا النوع التقليدي للرواية يمكننا من استخلاص الأفكار والمضامين بكل سهولة دون تمعن وتفكير، عكس ما تعتمدهُ الرواية، لأنّها في الأصل تركز على التداخل ومخاطبة المتلقي مع محاورته ومحاولته للشرح والتعليق والمعنى من هذا أنّ الرواية تتخذ أشكالاً من بينها القديم والجديد وكل شكل له بناؤه الخاص به.

---

[1]– أحمد فضل شيلول، الحياة في الرواية (قراءات في الرواية العربية المترجمة)، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، مصر، د ط، د ت، ص: 50.

[2]– عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، د ت، ص: 76.

"ومن أهم أشكال النثر التي عرفتها آداب العالم لتعبر عن روح الشعب وطبيعتهُ هي الرواية و القصة..."[1] ويتضح لنا من خلال هذا القول بأنّ الرواية تلمس وتحاكي وتتعمق بطريقة جمالية واقع الشعوب فهي تسرد بإبداع ودقة ما نعايشهُ من أحداث على جميع الأصعدة الاجتماعية، والسياسية، والثقافية والاقتصادية.

وتعد الرواية "قفرة في مجهول الغائب ينقل من خلالها الكاتب تصوره للمستقبل وفق رؤيته الخاصة وبطريقة فنية...وبهذا لم تعد تلك العناصر التي كانت مجرد بدائل لشكل الحكاية في بعُدها الواقعي بل تحولت إلى تقنيات لدى السارد يوظفها بطريقة شعرية تخرج بروايته بوصفها رواية حدث إلى رواية حدث"[2] وبالتالي هي تسبق الزمن وتفوق الواقع كما أنّها أصبحت تقوم على تقنيات السرد من مكان وزمان وشخصيات –فإذن–لم تكن الرواية العربية الحديثة مجرد نثر أو قصة بل هي نقل للواقع، ولاشكّ أنّ فن الرواية قد احتل موقعاً متميزاً في الأدب العربي المعاصر فقد استطاع هذا الفن الأدبي الحديث أنّ يثير إعجاب العديد من المؤلفين والنقاد والمبدعين فنجد من بين أهم الإصدارات التي ألفت في مجال الرواية كتاب الأديب والكاتب العربي المصري فاروق خورشيد أو فاروق مُحَمَّد سعيد خورشيد الموسوم بعنوان الرواية العربية(عصر لتجميع)، فالمؤلف فاروق خورشيد صاحب الجنسية المصرية ولد بالقاهرة يوم 28 مارس 1928، تخرج من كلية الأدب بجامعة القاهرة عام 1951، عمل بالتدريس لفترة قصيرة ، ثم انتقل للعمل بالإذاعة في البرامج الثقافية وقد ترقى في هذا العمل إلى أنّ وصل إلى رئيس إذاعة الشعب ثم أقبل منها مع بداية السبعينات من القرن الماضي.

احترف خورشيد الكتابة الأدبية فكان "غزير الإبداع متنوع الإنتاج، له إسهاماته في مجالات الإبداع الأدبي والنقدي والإذاعي والتراث الشعبي، كتب في جميع فنون الأدب المعروفة تقريباً القصة القصيرة والرواية والمسرحية الطويلة والقصيرة وقصص الأطفال والدراما الإذاعية والبرامج الإذاعية الثقافية

[1]– فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1403،1982 ص: 20.

[2]– مختار ملاس، تجربة الزمن في الرواية العربية، موفم للنشر، د ط، 2007م، ص: 98.

والصحافة والدراسات الأدبية والنقدية حول فنون الأدب والتراث الشعبي"[1] وكان له مكتب في وسط القاهرة انقطع فيه للكتابة والإبداع، فقد أثرى خورشيد المكتبة العربية بالعديد من الدراسات في الأدب الشعبي والقصة والرواية والمسرحية، أما آخر أعماله فهو رئيس إتحاد الكتاب بمصر، ونجد أنّ فاروق خورشيد "اشتهر كدارس وباحث في التراث الشعبي والسيرة الشعبية على وجه الخصوص، فله حولها خمسة كتب إلى جانب دراسات أخرى حول الأدب الشعبي بصورة عامة"[2]

ولم يقف فاروق خورشيد عند هذه الإصدارات فقط، بل كان له "أربعة وخمسون كتاباً منشوراً موزعة ما بين الدراسات الأدبية والنقدية والأدب الشعبي والقصة القصيرة والرواية والمسرح وأدب الكلمة وأدب الرحلات وأدب الطفل يمثل الإبداع الأدبي الجانب الأكبر منها فلهُ في الرواية والقصة القصيرة ستة عشر كتابًا، وله في المسرح أربعة كتب وله في أدب الكلمة كتابان وله في أدب الطفل عشرون كتاباً"[3] .

وقد نشر فاروق خورشيد"أول قصة قصيرة له عام 1948م بمجلة الكشكول الجديد تحت عنوان "العذاب"، إضافة إلى إصداره ستة مجموعات قصصية قصيرة، وفي مجال الرواية أصدر إحدى عشرة رواية، تتجه في معظمها إلى الاستفادة من التراث بشكل أو بآخر"[4] .

إضافة إلى ذلك قدم ستة مجموعات قصصية هي "الكل باطل" 1960 ثم تلتها مجموعة "القرصان والتنين" ومجموعة "المثلث الدامي" ومجموعة "كل الأنهار" و "زهرة السلوان" هذا في مجال القصة بنوعيها القصة و القصة القصيرة، أما الرواية فقد كانت له إسهامات كبيرة تميزت بأنها تستمد حبكتها الأساسية من التراث الشعبي، وأول رواية هي عبارة عن سيرة ذاتية خالصة بعنوان سيف بن ذي يزن عام 1967 وقد قام بإعادة طبعاتها عدة مرات بعد ذلك، إضافة إلى عدد كبير من الراويات منها

---

[1]– مُحَمَّد عبد الحليم غنيم، رسالة دكتوراه حول: الفن القصصي عند فاروق خورشيد: دراسة نقدية جامعة المنصورة –كلية الآداب– قسم اللغة العربية –2001، ص: 03.

[2]– المرجع نفسه، ص : 03.

[3]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]– مُحَمَّد عبد الحليم غنيم، رسالة دكتوراه حول: الفن القصصي عند فاروق خورشيد: دراسة نقدية جامعة المنصورة –كلية الآداب– قسم اللغة العربية، 2001، ص: 3،4.

"علي الزيبق" و"حفنة رجال" و "على الأرض السلام" و"الزهراء في مكة" و"الزمن الميت" و"ملاعيب علي الزيبق" وروايتي "إنها تجري إلى البحر" و" البحر ليس بملآن" في كتاب واحد، هذا وقدم فاروق خورشيد كتابًا يعد من الكتب الهامة في مجاله وهو كتاب "الرواية العربية عصر التجميع" وعدد آخر من الكتب مثل "مُحَمَّد في الأدب المعاصر و"في الرواية العربية المعاصرة"، بين الأدب والصحافة"، "هموم كتاب العصر "، "مع المازني" و "في أصول الأولى للرواية العربية"

وقد اخترنا من بين هذه المجموعة القيمة كتابه الموسوم بعنوان "الرواية العربية عصر التجميع" للدراسة في هذا البحث والهدف من موضوع الكتاب المعنون بـ: "الرواية العربية عصر التجميع"هو رصد قضية الرواية العربية نشأتها وتطورها من خلال ما حفل به من أفكار وآراء ومناقشات عن تاريخ الأدب القديم ومركزاً بشكل خاص على الرواية وبيان أثرها على الأدب العربي بصفة خاصة والغربي بصفة عامة كون الرواية تعد نتاجًا غربياً بحتاً، ويبدو أنّ الكتاب الذي نحن بصدد دراسته يعد تجربة مهمة في حياة المؤلف فاروق خورشيد لأنّه يحيلنا إلى التقدم الذي وصل إليه فّن الرواية ولم يكن بالأمر السهل، "فحتى يستطيع لون جديد من الإنتاج أنّ يدخل ويزدهر عند شعب من الشعوب لابد أنّ يستغرق الزمن والتطور ما يوائم بين مزاج هذا الشعب وبين الفن الجديد... بل لعله يستلزم ألواناً من التعّبِير تطرأ في حياة هذا الشعب وتقاليده بحيث يقبل على هذا الفن الجديد"[1] كما أنّه أحالنا إلى "ملحوظتان تحتمان دراسة فن الرواية العربية دراسة جديدة تحاول أنّ تجيب على هذا السؤال: أليست هناك جذور أعمق من النقل والترجمة للرواية العربية؟ ثم أنّ كل دراسة تتناول الرواية إنمّا تعتمد في تسليم مطلق إلى البحث عن قواعد وأصول في اتجاهات الرواية في الآداب العالمية من حولنا... وقد أدى هذا إلى نوع من الاضطراب في القيم والمقاييس"[2].

ورغم هذا يرى فاروق خورشيد أنّ فن الرواية أصبح يحتل تدريجياً مكان الصدارة في حياتنا الفنية ويشغل القسط الأكبر من اهتمام المنتج والمتلقي والناقد، وهذا ما نلمسه من خلال كتاب "الرواية

[1]– فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982، 1402ص:10.

[2]– ينظر : فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)دار الشروق،بيروت،1982،1402،ص:10.

العربية عصر التجميع" الذي يصُّر صاحبهُ على أهمية التعرف على هذا اللون والعناية به، وينادي إلى ضرورة البحث في التاريخ والتراث العربي عن شواهد في الأدب العربي تشير إلى هذا اللون الحيوي من الإنتاج الفني وربما نجده أهم حافز ودافع، دفع بـ فاروق خورشيد إلى تأليف كتاب "الرواية العربية عصر التجميع" إضافة إلى جملة من الدوافع التي استخلصناها كالآتي:

-إعادة الاعتبار إلى الأدب العربي وإثبات قدرته الإبداعية فيما أنتجه من أعمال نثرية روائية للتعبير عن آلام الإنسانية وطموحها.

- الأعمال النثرية الروائية هي نافذة للتعبير على مشاكل الإنسان فالكاتب فاروق خورشيد يرى أنّ الأدب قديماً لم يكن حافلاً بالإبداع الفني والقدرة على التعبير.

- الخروج من فكرة أنّ الأدب النثري العربي عبارة فقط على خطابة ورسائل وسجع الكهان وإنّما هو فن إبداعي يدافع عن العديد من القضايا الإنسانية.

ثم إنّ الكتاب الذي نحن بصدد دراسته هو كتاب رأي ومناقشة وهذا ما صرح به صاحب الكتاب، وقد احتوى هذا المؤلف على مجموعة من العناصر والقصص سنتطرق إليها في الفصول أما ما يميز هذا الإنتاج هو التنوع والميل إلى التجديد في الشكل والبناء وذلك باستخدام تقنيات جديدة في القصة القصيرة والرواية على السواء، كما أنّه يثير مجموعة من القضايا النقدية وهذا ما نلمسهُ في القصة القصيرة والرواية لدى الكاتب وهذا من خلال الأنواع الأدبية بالتراث السردي من خلال استلهام أشكاله ولغته وتقنياته.

أمّا في ما يخص المصادر والمراجع التي استسقى منها دراستهُ فإن الكتاب في حدّ ذاته يعتبر مرجعًا بحيث أن الكاتب لم يعتمد على أية مصادر ومراجع في إنتاجه للمؤلف والنمط الذي اعتمده الكاتب في دراسته هو نمط تاريخي مقارن حيث تطرق إلى شرح ومناقشة أساليب النهوض بالرواية العربية إلى العالمية كونها تُعبر عن الإنسان وما يعاشهُ من وقائع فقد استطاع هذا الجنس الأدبي كسر الطابوهات في المجتمع العربي وأنّ يعبر عن مكبوتات الإنسان العربي وهذا ما نلمسه في أعمال الكاتب فاروق خورشيد ولكن لاحظنا قلة الدراسات التي تناولت أعمال الكاتب على الرغم من تميزها باعتراف

النقاد أنفسهم الذين تناولوا بعض هذه الأعمال، فضلا عن ذلك فبعد نصف قرن من الإبداع المتواصل لم تصدر عن الكاتب دراسة مستقلة تتناول مجمل أعماله في الرواية والقصة القصيرة ومن ثم كانت ضرورة هذا البحث وتبقى بعد ذلك مغامرة البحث وحبّ المعرفة وتجريب منهج نقدي تفرضهُ أعمال الكاتب ذات الاتجاه التجديدي على مستوى الشكل فقد حمل كتاب" الرواية العربية عصر التجميع" ما يكفي من دعوة للدارسين إلى الالتفات إلى ثروة هائلة كانت مرفوضة من قبل في دنيا الدراسات العربية وقد اعتبرها قضية مهمة ولابد من الاهتمام بها وكسر المعطيات القديمة البالية التي كانت تعرقل الإبداع الأدبي.

دراسة كتاب :

الرواية العربية عصر التجميع

مقدمة الطبعة الثانية

"لقد بات من نافلة القول التأكيد على أهمية الرواية والإشادة بنجاعة دورها في رصد التدفقات الوجدانية للإنسان، لأنها قد بلغت شأنًا كبيراً من الالتفات حول الإنسان قصد احتواء جلّ همومه وفي هذا الإطار استهل الكاتب فاروق خورشيد كتابه بكلام عن الضجة والشهرة التي أحدثتها روايته الموسومة بـ "الرواية العربية عصر التجميع" .

يقول فاروق خورشيد أنّه مضى خمسة عشر عامًا منذ صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب الذي في اعتقاده قد قام بدور كبير في بلوغ رسالته والانتهاء منها، من خلال ظهور العديد من الأعمال الأكثر دقة وأهمية في هذا المجال، كما أنّ احتفال الجامعات العربية عامًا بعد عام بدراسة القصة العربية ودراسة الأدب الشعبي خير دليل على نجاعة كتابه الذي لم يخلو من المناقشات والمعارضات وبعض الآراء التي كانت تتنافى مع القضية المعالجة في هذا الكتاب.

وقد امتازت هذه الطبعة من سابقتها بزيادات وإضافات لا غنى عنها، ظهرت الحاجة إليها أثناء قراءة الكتاب لتصحيحه وتنقيحه، فجاءت ظني والحمد لله رائعة حسنة"[1]

"ولم تكن الطبعة الأولى قد راقتني كثيرا لما وقع فيها من بعض العيوب التي عجزت عن رغم الجهد الذي بذلته في محاولة إخراجه بالصورة التي كنت أُحِبُ أنّ يكون عليها، مما دعاني إلى الإسراع في إعادة طبعه لتصويب الأخطاء، وإزالة ما فيه من نقص، فكنت أعرفُ أنّ الكتاب لم يتمكن من الوصول إلى الجماهير وطالبي البحث والدراسة ومن المهتمين بشؤون قضية الرواية العربية والباحثين في شأنها، بالرغم من أنّ نسخه المحدودة فقد نفذت من المكتبات والمناقشات التي تناولها بعض النقاد بالعرض والنقد،

فالكتاب كان يطلب مني شخصيا وسرعان ما نفذت نسختي أنا أيضا، هذا ما دعاني إلى البحث عنه في المكتبات الأخرى لبعض الأصدقاء.

[1] – ينظر فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة 1402هـ، 1982م، ص:7:.

فلقد أصبح من الضروري إعادة طبعه مرة أخرى وأمراً واجباً أنّ يكون استمرارا لأعمال أخرى تليه أكثر معالجة للقضية المتعاقبة عبر الأزمان، فهذا الكتاب فيه آراء ومناقشة، دفع به الإيمان بضرورة البحث والدراسة في هذا الإطار وفي تاريخ الأدب القديم كما كان هناك دافع آخر هو التعلق بنموذج لبناء الغد، لأنّ الكتاب يحتوي على مجموعة من الشواهد المحكمة والمقنعة بالمنطق والشاهد وهذا ما جعله يثير قضية لا تزال لوقتنا الحالي محل اهتمام وانتباه، كتلك المناقشات التي ظهرت في الفصيلة الإسلامية التي يصدرها المركز الثقافي الإسلامي في لندن باللغة الإنجليزية، والتي حاول فاروق خورشيد أنّ يرّد عليها في نهاية الطبعة الثانية من هذا الكتاب"[1]

"وتكمن أهمية ردّه في العلاقة بين كتابه وواقع القضايا الأدبية المثارة، خاصة وأنّ هذا المقال الذي يشير إليه قد ظهر في عدد أكتوبر- ديسمبر 1970 ومن هنا فقد اقتضت طبيعة الردّ الذي يكتبهُ في نهاية هذه الطبعة عام 1973، مما يجعل هذا الكتاب يرتبط ارتباطاً وثيقاً منذ خمسة عشر عامًا بالواقع الأدبي على أنّه كتاب جديد قديم أحسب أنّ قراء العربية كانوا في شوق إليه، فلعلهم إنّ يقرؤونه يجدون فيه على قدمه جديداً كانوا يتشقون إليه لما إحتواه من علم ومعرفة بأصول الرواية العربية"[2]

[1]– فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)دار الشروق،بيروت،ط3 ،1982،1402ص: 7.

[2]– ينظر،المرجع نفسه،ص :09.

مقدمة الطبعة الأولى :

– يرى الباحث فاروق خورشيد أنّ المتتبع لحركة الإنتاج الفنّي خاصة الأدب المعاصر يلحظ أنّ فّن الرواية بدأ في طور الإنجاز والتقدم وذلك لأخذ الصدارة في حياتنا الفنية والواقع أن هناك ملاحظتين هامتين تستثيران الانتباه في هذا الحقل.

الملاحظة الأولى: هي أنّ الإنتاج الروائي المعاصر يصل إلى درجة من الأصالة وإنّ هذا الفّن ليس من المعقول أنّه لم يصل إلينا[1]، بلّ يستغرق من الزمن والتطور ما يوائم بين مزاج الشعب ويرى الباحث فاروق خورشيد أنّ نبحث عن أصول أخرى غير الترجمة لفّننا الروائي العربي الذي أخذ يتكامل هذه الأيام بسرعة.

الملاحظة الثانية: وفي هذه الملاحظة يرى الكاتب أنّ كل دراسة تتناول الرواية إنّما تعتمد على البحث عن قواعد وأصول في اتجاهات الرواية، إذْ أنّ هناك تعدد في الاتجاهات عند الدارسين والنقاد...[2]

ويرى الكاتب أنّ هاتان الملحوظتان تحتمان دراسة فّن الرواية العربية وتجيبان عن السؤال الذي طرح حول جذور النقل والترجمة للرواية العربية ، فمنّهم من يقول أنّ هذا الأدب مستحدث في أدبنا، وقد أكّد هذا الافتراض في أذهان دارسي الأدب العربي القديم إلقاء الضوء كله على ترثنا الشعري واعتبروه الفن الروائي الأول عند العرب.[3]

ويقول الباحث أنّ هذا مأثار الانتباه إلى أهمية التعرف على هذا اللون ألا وهو الرواية وقد سار التابعون على سنة من سبقوهم في طريق الشعر محل اهتمامهم، فكان التقصير واضحا في فن النثر حيث يرى الكاتب أنّ فّن النثر اقتصر على الخطابة والحكمة وسجع الكهان فقط.

---

[1]– ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية،(عصر التجميع)دار الشروق،بيروت،ط3 ،1982،1402ص:9.

[2]– ينظر، المصدر نفسه، ص :10.

[3]– ينظر، المصدر نفسه، ص :11.

وقد خرجت هذه الدراسات المحدثة للشعر العربي بنتائج أهمها أنّ مؤرخي الأدب القدماء[1] والبلاغيين قد حدثوا الدارسين المحدثين في أمر الشعر و الشعراء أنّ من الشعر ليس ديوان العرب كما يحسبوا بل ليس إلا قطرة ضئيلة في الإنتاج الشعري الضخم حيث بدأت النظرة إلى المراجع التي كانت تعتبر مقدسات يدخلها شئ من الحذر والتدقيق[2]كل هذه الحقائق نبهت الدارسين المحدثين للشعر العربي حيث بدأ التحقيق في دواوين الشعراء، وتعيد النظر في الأحكام ويقول الكاتب أنّه ظهرت الدراسات الجديدة التي ترتكز على الجانب الفني عند الشاعر ومحاولة رؤية صورة الشاعر[3] وهذا يخص فن الشعر أما فيما يخص النثر فقد أقبلوا على دراستهم بأنّ العرب لم يعرفوا في نثرهم إلا النتائج والتي ذكرت من قبل أنّ أهميته لم تدخل في حسبان هذه الدراسة

وهكذا إنساق الدارسون للنثر ورأى البلاغيين في البحث عن القيم الشكلية فكانت أبحاثهم أقرب إلى الدراسات الشكلية، لأنّ النثر فن تشكلي ويقول الباحث: "ولست أريد بهذا أنّ أهاجم أحداً، فلا شك أنّ هذه الأعمال أخذت من أصحابها جهداً ضخماً كبيرًا، ولاشك أيضا أنّها كثيفة من جوانب معينة أي من تاريخ أدبنا النثري "حيث يرى الكاتب أنّ هناك حقيقتان هامتان، الأولى أنّ، فن الشعر وإنّ كان على مظاهر التعبير في كل الآداب إلا أنّ واقع الأمر يمثل طبقة بعينها من الفنانين والمتذوقين أي طبقة التي يتوفر لها نوع معين من الثقافة والحسّ وليس جميع المنشغلين بالحياة الفنية إنتاجاً و تلقياً ذلك أنّ الشعر اتخذ في الحياة العربية للتكسب فكان هو وسيلة للتقرب من السلطان في شتى صوره.

[1]– ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية،(عصر التجميع)،دار الشروق ،بيروت، ط3،1982،1402،ص: 12.

[2]– ينظر، المصدر نفسه، ص: 13.

[3]– ينظر، المصدر نفسه، ص: 17–18.

أمّا فيما يخص الحقيقة الثانية يقول الكاتب أنّ الشعوب إنمّا تعبر عن نفسها بلغتها ولغة الناس أي يقصد فن النثر ولكن هذا الذي جاءنا من النثر العربي يكاد يخرج في مبناه وفي هدفه من دائرة الفن في حدوده وأهدافه ، وإذا كان الدارسون استطاعوا أن يدركوا كل الحقائق في الشعر، فإنّ واجب الدراسين في الحقل النثري لا يقل في خطورته وأهميته عن هذا الذي قام به دارسوا الشعر [1]، ونلاحظ من خلال هذا أن كلا من الفنيين متساويين في نظر الكاتب.

فيرى الكاتب أنّ أهم أشكال النثر التي عرفها آداب العالم الرواية والقصة ويعود ويطرح الكاتب السؤال فيما يخص أدبنا العربي؟ أين فيه الرواية والقصة؟ أكانت حياة العرب بليدة خاملةً لا تُعرف إلّا في طبقاتها العليا المتصلة بالحكم والحكام التعبير يرى الكاتب الحقيقة تقول غير هذا فحياة العرب في الجاهلية كانت رغم كل شيء حياة خصبة مليئة بالأحداث والحركة[2]وكذلك في الإسلام ليست حياة سهلة ناعمة ، بل هي تتسم منذ اللحظة الأولى بالصراع الذي لا هوادة فيه حرب ضد الدعوة الجديدة والتمسك بأفكارهم القديمة التي تملأ أذهانهم عن الحياة والكون والآلهة ، وهذه الحروب كانت في كل مراحلها حربًا بالسيف وحرباً نفسية مريرة، وحياة العرب بعد أنّ استقر الإسلام تموج بأشياء وأشياء فهناك شعوب جديدة تدخل هذه الحياة لتصبح جزءًا من الأمة.وهناك أيضاً صراع مرير على مكان السلطة في هذا الشعب الكبير بين أبنائه وطوائفه[3] فهذه الحياة ليست إذنْ خاملةً عند العرب ولكنها حياة خصبة نامية كما يقول الكاتب ثم يتم الفن القصصي: والإجابة لا تخرج عن شيئين .

الأول: أن هذه الحياة لم تنتج فناً قصصيا لأي سبب من الأسباب، وهذه حقيقة لا تقبل[4]

[1]– ينظر: فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط1982،1402،3،ص: 19.

[2] – ينظر ،المصدر نفسه ص :21

[3]– ينظر، المصدر نفسه ص: 21–22

[4]– ينظر، المصدر نفسه ص:23.

الثاني: أنّ هذه الحياة أخرجت كغيرها من حيوان العالم والشعوب فناً قصصياً معبراً يمثل هذه الحياة، والواقع أنّ الدارسين للأدب العربي اهتموا بأمر القصة والرواية اهتمامهم بأمر الشعر لاكتشفوا خدعة أخرى قد أوقعهم فيها البلاغيون القدماء ومؤرخو الأدب حيث قصروا فهمهم عن تناول الشعر.

ويرى الكاتب أنّ العجيب حقاً أنّ يسلم الدارسون بأنّ فن الرواية والقصة فن مستحدث نقلته الترجمة إلينا والاتصال بالآداب الأخر والواقع أنّ كل هذه الأسئلة التي أثرها تحتاج إلى الإجابة عليها إلى بحث في تاريخيا وتراثيا العربي[1].

سنحاول فيما يلي أن نعرض ما جاء بين دفتي هذا الكتاب بالمناقشة والتحليل وذلك بعرض آراء الكاتب وآراء غيره في القضايا التي أثارها، وأول هذه القضايا هي:

1- الدارسون والقصص الجاهلي:

يرى الباحث أنّ القصة بمفهومها البسيط، فنٌ قديم عرفه الناس منذ أنّ عرفوا الوجود وهو فن محبب إليهم جميعاً رجالاً ونساءًا في الحلّ والترحُّل كون أنّ هذا الفّن يستميل القلوب، ويمتع النفوس، ويشير الدكتور فاروق خورشيد إلى أنّ يستقرء الأدب العربي منذ فجره إلى اليوم يجدّ أنّ للعرب قصصاً وحكايات كانت في بدء أمرها أخباراً يتناقلها الناس ويرويها الآباء للأبناء في حلقاتهم وتحت قباب خيامهم ويضمنونها مآثر الآباء والأجداد في حقول الشجاعة والفروسية والغرام "...فالقاص والحاكي الجاهلي كان يتخذ مجلسه بالليل أو في الآماسي عند مضارب خيام قبائل البدو المتنقلة وكانت مادته القصصية تدور حول مواضيع متعددة ومتنوعة بغية التسلية والمتعة أو الوعظ والإرشاد أو الخرافة والأساطير أو الفروسية وتاريخ القبيلة وبطولات الأمجاد أما تلك القصص تناقلت إلى العرب الجاهلي عبر الرواية من الأسلاف"[2].

كما ينسجونها حول الأساطير التي نبتت في ربوع الخيال، وعبّرت عن آمال النفوس كأيام العرب وألف ليلة وليلة وسيرة عنترة وما إلى ذلك.

---

[1]- ينظر: فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3 ، 1982،1402، ص: 24.

[2]- نسرين طاهر ملك، النثر الجاهلي والإسلامي والأموي: دراسة تحليلية، المجلد 2، العدد 1 يناير-يونيو 2014م، ص 114.

كما انحرف الهدف الأصلي لكتابة القصة إلى أهداف أخرى تتماشى مع مفهوم الراصدين للأدب من الارتباط بين السلطة أو الحكم وبين الإنتاج الفني الذي يخدم الطبقة الحاكمة في عصرهم كما يرى الكاتب أن مراجعة أي كتاب من كتب الطبقات أو كتب التاريخ ستثبت صحة هذا الاعتقاد وقربه من الحقيقة والواقع، كما كان لأصحاب السلطة الدينية دورٌ كبير في الحفاظ على التراث العربي. فالأدب العربي كان وسيلة لتفسير القرآن الكريم واستنباط الأحكام.

"فالقصص تعارضت مع المفاهيم الدينية باعتبارها ليست ديناً كما تعارضت مع السياسة، فلا عجب أن انصرف هؤلاء المؤرخون إلى الاهتمام بحياة العرب فقد أرسوا كتاباتهم في شتى الفنون وأصولها وما يخدمها وقد يكون هذا الوعي قد أدى إلى سقوط العديد من القصص التي عرفت في العصر الجاهلي"[1]

"...وفي هذا الجانب تصور بعض الدارسين أن ما يلّف النّص الجاهلي من تشتت وعدم التركيز الفكري بين موضوعاته، يمكن تفسيره في ضوء الطبيعة الفكرية للعصر الجاهلي..."[2]

"فالحياة العربية قبل الإسلام كانت مليئة بالخرافات والعصبيات التي تضرب بأصولها في بطن التاريخ، لهذا وجد الإسلام نفسه في مركز الصراع بين أصول هذه الخرافات وجذورها، فالعلماء مجمعون على أنّ العرب في الجاهلية كانت لهم قصص كثيرة ومتعددة تدور حول أجدادهم وملوكهم وفرسانهم وشعرائهم، وكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني يحتل مكانة عالية لاحتوائه ذخيرة كاملة من القصص التي تداولتها العرب عن شعرائهم ومجالسهم وملوكهم، كما أنّه مليء بالشعراء الجاهليين وغير الجاهليين، ومن جهة أخرى ليس كتاب الأغاني المرجع الوحيد بل أنّ المكتبة العربية غنية بأمثال الأعشى والعقد الفريد والشعر والشعراء وكتب التراجم والطبقات"[3]

[1]– ينظر: فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982، ،1402ص: 26.

[2]– سعيد حسون العنيبكي الشعر الجاهلي، دراسة في تأويلاته النفسية والفنية، عمان، دار دجلة، ط1، 2010م، ص: 318.

[3]– ينظر: فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع) ، ص: 27–28.

" كما يرى الدكتور فاروق خورشيد أنّ الكاتب شوقي ضيف قد أشار في هذا المنهاج في الكتابة عن القصص الجاهلي"[1] فيقول شوقي ضيف في كتابه الفن ومذاهبه في النثر العربي: "وما كنا لنتخذ صياغة العباسين مثالاً لصياغة الجاهليين ومن أجّل ذلك كنّا لا نستطيع أنّ نعتد – من الوجهة الأدبية– بما يروه في هذا العصر من عناصر القصص والتاريخ ،لأن الرّواة حرفوا لفّظه،بل لقد حرفوا معناه على نحو ما حرفوا قصة الزباء، ولو أنّ العرب كتبوا تاريخهم وقصصهم في العصر الجاهلي لاعتددنا بهذا الجانب من نثرهم ولكنهم لم يكتبوا شيئاً"[2] (ومن هنا يتجّه فاروق خورشيد إلى التساؤل عن إمكانية تدوين الشعر العربي في العصر الجاهلي)، فمن المتعارف عليه أنّ الشعر العربي عرف حركة متأخرة في التدوين ويرجع السبب إلى الاعتماد الكبير على الحفظ والرواية.

ومعروف أنّ من أسباب العناية بتدوين الشعر الجاهلي الرغبة في معرفة معاني ألفاظ القرآن الكريم، فاحتجوا على معناها وصحتها، كما يؤكد الدكتور طه حسين في نظريته عن إنّتحال الشعر الجاهلي على دراسة تتناول الأسلوب واللغة والتراكيب البلاغية قبل تناولها للمضمون، غير أن النّقاد في العصر الحديث اعتبروا هذا القصص القديم بأنواعه المختلفة من القصص الفنّي لأنّه لا يصور الحياة الواقعية ولا يعالج مشكلات الإنسان".

"يتضح من خلال هذا القول أنّ العرب عرفوا القصص رغم أنّه كان شفهياً يروى على ألسنة ملوكهم وأبطالهم ومن أشهر قصصهم كذلك تلك التي تدور حول الوقائع الحربية التي وقعت بين القبائل كيوم داحس والغبراء،ويوم الفجار، ويوم الكلاب،أوتلك التي انتصر فيها العرب على الفرس .

والأصل في هذا يعود إلى مراجعة الكتب التي دونت لنا هذه القصص كالعقد الفريد التي يمكن اعتبارها من أشهر الكتب التاريخية،ومن أسّبق أنواع القصص العربية إلى الظهور رغم أنّها ترجع إلى أعمال تجمعية لبعض القصص المنقولة عن العرب والتي تتميز ببعض اللمسة الفنية ،رغم أنّ اعتقاد

---

[1]– فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982، ،1402ص: 26.

[2]– شوقي ضيف،(الفّن ومذاهبه في النثر العربي)،نقلا عن ،فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط1982،1402،3،ص:28

بعض الدارسين إلى أنّ كل هذه الروايات مجرد كلام كاذب ولم تنقل عن الجاهلين كونهم لم يعرفوا عن الكتابة،بينما يؤكد فاروق خورشيد أنّ هذه النظرية مبنية على رؤية خاطئة كون أنّ النصوص الكثيرة التي وصلت إلينا دليل قاطع على أنّهم يعرفون الكتابة ،وليس عدم وصولها إلينا دليل على أنّهم يجهلون الكتابة ولا يعرفونها ،ولكن يقول فاروق خورشيد من المحتمل أنّ كتبهم قد ضاعت في عصور متأخرة ولا تتوفر له قيمة فنية حتى يُعد جنساً أدبيًا، ولهذا السبب لم يعتبر القصص الجاهلي فناُ نثرياً جاهليًا، والسبب يعود إلى التأخر عن حركة التدوين كون أنّ العرب في الجاهلية كانوا مشغولين بالبيان والبلاغة، والدليل على أنّ القرآن الكريم يُعدّ معجزة بيانية يخاطب قوماً صناعتهم وهوايتهم البيان والبلاغة"[1].

كما يرى الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عند الجاهليين أنّهم كانوا "يحّبون البيان والطلاقة والتعبير والرشاقة" فبهذه القيمة أدّرك الدارسون أن الأدب الجاهلي على أنّه أدب صنعة ومرجع ولغة ودليل بلاغة وصناعة، إلّا أنّ هذا لا ينّفي أنّ العرب قد عرفوا ألواناً متعددة ومن هذا الفن كقصص الأنبياء وقصص الشعوب وقصص الأمكنة وقصص الملوك والأبطال"[2]، "ثم كان أول من قصّ من التابعين بمكة عبيد بن عمير الليثي وقد جلس عبد الله ابن عمر وسمع منه، فكان ذلك داعية إلى إقبال الناس ورغبتهم في استماع القصص لما كان لابن عمر من الدين والورع، وقد أقرتّه كذلك عائشة ﵂ أم المؤمنين ولم تنكر عليه، فحدّث عطاء قال:"دخلت أنا وعبيد عليها فقالت من هذا؟فقال:أنا عبيد ابن عمير فقالت ﵂:قاصّ أهل مكة؟ قال: نعم ! قالت: خفف، فإن الذّكر قليل.."[3].

"كما عرف العرب قصصًا تتناول تفسير الأساطير فحكوا حكايات عن حياة آدم ونسبه وعن نشأة اللغات وتعددها وهذا ما نجده في كثير من الكتب مثل التيجان لوهب بن منبه الذي يعتبر المرجع للكثير من الروايات العربية.

[1]– ينظر: فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982، 1402،ص :33.

[2]– ينظر، المصدر نفسه، ص :34.

[3]– مصطفى صادق الرافعي تاريخ العرب، بيروت، ط1، 1424هـ، 2003م، ص: 90.

لم ينتقل الباحث إلى الحديث عن أساطير العرب ويرى أنّ الأسطورة عند العرب شأنها كباقي الأساطير عند سائر الشعوب، فهي وسيلة ومنفذ استطاع الإنسان من خلالها أن يعبر عن قدراته ويفسر ما يعجزه فهمه من ظواهر الكون حوله، ليصبح قادرا على التأقلم مع الظواهر الكونية التي لا يدرك سرّها ولا يفهم أسبابها ومكوناتها فمن الطبيعي أنّ يعرف العرب الأساطير بكل أنواعها ويتناقلونها كجزء من تراثهم العربي الذي يصاحب عباداتهم الدينية الممتزجة بالخيال والإبداع.

وقد أخذ العرب القصص أيضاً عمن جاورهم من الأمّم إمّا بالنقل كاملاً، وإمّا عن طريق ما يسمى بالاقتباس، وقد وصل الكثير من هذه القصص إلى أيدي الدارسين المحدثين ولكنّهم انصرفوا عنه مزورين عن عمدٍ"[1] .

وهذا ما أقّره الأستاذ أحمد أمين في كتابه فجّر الإسلام في حديثه عن أيام العرب إذَ يقول: "ترى هذه الأيام وأخبارها مجموعة في العقد الفريد، وأمثال الميداني وقد زاد القُصّاص في بعضها وشوهوا بعض حقائقها كالذي تراه في أخبارهم التي حكوها في موت الزباء، إذا قارنت بين ما قصوه وما ذكره ثَقات المؤرخيين عن زنوبيا.. فخبر الزباء المروى في الكتب العربية عن هشام بن مُحَّد الكلبي، رواية خيالية موضوعية لا تتفق مع التاريخ"[2]، وبمجيء الإسلام الذي ظهر ليغير الحياة في الجاهلية، ويهذّب الطباع ويغير مفهوم الدّين، وبرز الشعر متأثراً به في المفاهيم الجديدة ولكن لم يجد بعض الشعراء مناصًا من الحذُّ على منّوال الجاهليين ففي مكة سبعة عشر كاتبًا وفي مدينة أحد عشر،وقد ورد في كثير من نصوص الشعر الجاهلي ما يفيد معرفة العرب للكتابة والتدوين، وهذا ما ذكره الميداني في كتابه — مجمع الأمثال– أنه رجع في تأليفه ما إلى يقدر بخمسين كتابًا كما يروي وهب بن منبه في صدر كتابة —التيجان– أنّه قرأ ثلاثة وتسعين كتابًا مما أنزل الله على الأنبياء"[3]

"كما يقرّ فاروق خورشيد من خلال أبحاثه أنّ الكتابة والتدوين لم يكونا مجهولين لدي العرب في العصر الجاهلي، كما أنّه غير صحيح أنّ الذين دونوا أخبار العرب في العصر العباسي قد اعتمدوا

[1]– ينظر: فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982، 1402،ص: 36.

[2]– ، احمد أمين،(فجر الإسلام)،نقلا عن، فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت ،ط3،1982،1402،ص:36

[3]– ينظر: فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثالثة، 1982،1402، ص: 40.

على ما حفظه الرواة وما تناقلوهُ، فالكتب كانت موجودة ومعروفة وأنّه ليس من داع أنّ نكذب كل من تحدث عن العرب في معرفتهم بفن الكتابة والتدوين لأثارهم وأنّها نقلت إلينا عن طريق الرواية والحفظ فمن المعقول أنّ ينقل الراوي قصيدة شعرية أمَّا أحداث تاريخ لحكاية ما فتحتاج إلى تدوين في نقلها ومن المتعارف عليه أن المعلقات السبع كانت تدون وتعلق على أستار الكعبة لأنّ العرب في الجاهلية كان يقول الرجل منهم الشعر في أقصى الأرض فلا ينشدهُ حتى يأتي مكة فيعرضه على قريش فإنّ استحسنوه روي وكان فخرًا لقائله وإنّ لم يستحسنوه طرح وذهب فيما يذهب"[1]

وقال ابن الكلبي 276هـ وقيل سنة 206هـ: " أول شعر علق في جاهلية شعر امرئ القيس، علق على ركن من أركان الكعبة أيام الموسم حتى نظر إليه، ثم أحدر فعلقت الشعراء ذلك بعده وكان ذلك فخرا للعرب في الجاهلية، وعدوا من علق شعره سبعة نفر إلاّ أنّ عبد الملك طرح[2] .

"شعر أربعة منهم وأثبتت مكانهم.." بين لنا فاروق خورشيد أنّ قريشًا وجدوا كتاباً بالسريانية فلم يدور ما هو حتى قرأها لهم رجل من يهود فإذا هو: "أنّا الله ذو بكة، خلقتها يوم خلقت السموات والأرض وصورت الشّمس والقمر، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء، لا تزول حتى تزول أخشباها، مبارك لأهلها في الماء واللبن.."

الشعر والنثر في الجاهلية :

تمهيد:

إنّ الأدب العربي أولاً أدب البداوة، لأن البداوة طور اجتماعي تمر به كل الأمم، بل هو معبر إلى الحضارة،وللبداوة في الحياة طريقة خاصة وأدب خاص يكون في أول عهده شعرا.

[1]– ينظر:المصدر نفسه ، ص: 38

[2]– مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1424هـ، 2003م، ص :171.

فالشعر وليد الخيال يسبق الفكر، ولأنّ الشعر غناء والإنسان مفطور على الغناء منذ نشأته بخلاف النثر . فما هو الشعر؟

الشعر من الفنون الجميلة التي يسميها العرب الآداب الرفيعة وهي الحفر والرسم والموسيقى والشعر ومرجعها إلى التصوير جمال الطبيعة فالشعر يصورها بالخيال ويعبر عن إعجابنا بها وارتياحنا إليها بالألفاظ فهو لغة النفس أوهو صورة من الصور الظاهرة لحقائق غير ظاهرة.

لكن علماء العروض من العرب يريدون بالشعر ذلك الكلام الموزون والمقفى، فيحصرون حدوده بالألفاظ وهو تعريف للنظم لا للشعر وبينهما فرق كبير، إذْ قد يكون الرجل شاعرا ولا يحسن النظّم وقد يكون ناظما وليس في نظمه شعر، فالنظّم هو القالب الذي يسبك فيه الشعر.

لقد ازدهر الشعر الجاهلي ازدهارا عظيماً إبّان الجاهلية تمثل في عدد كبير من الشعراء الذين تزخر المصادر بأسمائهم وأشعارهم، إذْ نظموا في جاهليتهم قبل الإسلام كثيرا من الشعر، ومع هذا فقد ضاع معظمه، وقد اشتهرت في العصر الجاهلي بيوت كاملة بقول الشعر[1].

ويرى صاحب الكتاب أنّ الكلام المنثور هو ما لم يتقيد بالوزن والقافية وأنّ المنظوم هو الذّي تقيد بالوزن والقافية ، فالشعر ضرورة من ضرورات الحياة في طور من أطوارها فإذا انقضى هذا الطور أصبح الشعر عاجزًا على أنّ يقوم بشئ من ذلك، وأصبح النثر خليفته يصور هذه الأشياء الجديدة أمّا القرآن الكريم ليس نثراكما أنّه ليس شعراً، وإنمّا هو قرآن ولا يمكن أنّ يسمى بغير هذا الاسم فهو لم يتقيد بقيود الشعر ولا النثر لأنّه مقيد بقيود خاصة به لا توجد في غيره وهذه القيود التي يتصل بعضها بأواخر الآيات فالقرآن الكريم لم يجد له مقلدا وهو وحيد في بابه لم يلحق بما يشبهه فهو نصّ ثابت لا شكّ فيه صحيحاً عربياً يملك ثروة فكرية وبلاغية وفنية تهدم كل محاولة لهدم الأدب الجاهلي، كما أنّه البداية الفعلية وما سبقهُ ليس بشيء في حياة العرب[2] .

[1]– ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)، دار الشروق،بيروت، ط3 ،1982،1402، ص: 43.

[2]– ينظر فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)، دار الشروق ،بيروت ،ط3، 1402،1982، ص: 44–45

يرى الباحث فاروق خورشيد أنّ المسألة كانت عبارة عن معركة بلاغية بين القرآن الكريم، وبين صورة التعبير المختلفة انتهت بانتصار القرآن الكريم لما قدم لعقول الناس وقلوبهم من أعمال تحتوي على الروعة والجمال.[1] .

" وقد قال ابن عباس رضيّ الله عنهما: "القرآن يفسره الزمان" بمعنى يتطابق ومجريات أي عصر وزمان ولذلك فهو الجامع الأسمى للمبادئ، وأقوم المناهج، وخير النظم والحافل بكل ما يحتاج إليه البشر من حيث العقائد والعبادات والمعاملات وإنّه الكفيل بتربية الإنسان الفاضل والأسرة المتآلفة والمجتمع المتكافل وإقامة الدولة الراشدة والكيان القوي الذي يقيم الحق والعدل ويرفع الظلم والعدوان ويحقق السعادة للإنسان والإنسانية[2].

التيار الشكلي :

تمهيد:

اقترن تطور العلوم الإنسانية الحديثة بتطور الفكر الإنساني فبزغت في الأفاق مفاهيم ونظريات جديدة لم يكن للعقل البشري سالف عهد بها مما جعل العلوم متجددة دومًا، خاضعة للحركة والتطور، وانعكس ذلك على العلوم الإنسانية وبخصوصية أكبر الفنون والآداب فتجاوز السياق أضحى ضرورة ملحّة لذلك تغيرت النظرة إلى قضايا عديدة كانت مدار النشاط النقدي كالشكل والمضمون والالتزام وصدق العاطفة.

يرى الباحث فاروق خورشيد أنّ الذي أضّر بدارسة القصة العربية هو ذلك الفهم الذي تعرض له الدارسين في التراث النثري وهو شكل يقوم على البحث عن الصورة معينة تكثر فيها الصنعة والتكلّف كما تبدو فيها مجالات التلاعب بالألفاظ والقدرة على التنميق والتحبير الشكلي وهذا ما كانت ملامحه بارزة في العصر الجاهلي خاصة في السجع والخطابة ووجدوها في صدر الإسلام في الرسائل رافضين بذلك الصور النثرية الأخرى، إيماناً منهم أنّ هذا الذي ارتضوه يكاد يبدأ بدايته الحقيقة في

[1]– ينظر،المصدر نفسه،، ص :46.

[2]– ينظر، أحمد علي الملأ (دراسة في علم العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة)، برمكة جانب الهجر والجوازات ،دمشق ط 1،ص38–39.

العصر الأموي وبهذا نريد البحث عن السّر الموجود في هذا التيار الشكلي الذي فرض على دارسي فن العرب اتجاهاتهم ونظرتهم[1]،فالتاريخ يشهد أنّ الموالي قفزوا إلى المراتب الأولى في الحياة الثقافية منذ عصور الدولة الأموية فهشام ابن عبد الملك كان على رأس ديوانه سالما مولاه، ويأتي بعده تلميذه عبد الحميد وهو مولى أيضا فعلى أيدي هؤلاء وغيرهم من أبناء العربية بدأ عصر الشكل والاهتمام به.

فمن الطبيعي، تعلم لغة جديدة يقتضي الزينة والحلية ولإظهار جوانب التفوق على أهل اللغة الأصلية وإثبات علمه بأسرار لغتهم وبالتالي فهو يجهل ما للفظ من دلالة موسيقية ونغمية لكنه وسط التصنع والتكلف يفقد قيمته ودلالته الداخلية التي تتجسد في معناه.

فالألفاظ كلها متساوية في المعنى وهذا ما كان من سمات عبد الحميد حين كان يختار ما طاب له من الألفاظ دون النظر إلى شحناتها المتوارثة وبالتالي تشكل قالب هندسيا في شكله فقيرا الفقر كلّه في الدلالات النفسية[2].

فسجع الكهان الذي عُرف في الجاهلية ضرب من الشعوذة اللفظية فهو ليس فناً وليس أدبًا، كونه كان يعتمد على الجرس اللفظي فكتب السيرة والأخبار نقلت إلينا،من أنّ النبي – ﷺ- نهى عنه، كما أنّ أصحابه قد رفضوه رفضاً قاطعاً كونه تزوير عقلي يخلو من الدلالة اللفظية.فنجد الدارسين والقدماء والمعاصرين يُقبلون على هذه الصورة ويقيمون أبحاثهم على أساس البني الشكلية عند الكتاب وهذا ما نجده عند الدكتور شوقي ضيف في كتابه السالف متسائلا: "ولكن هل وجدت الكتابة الفنية التي يعتمد فيها الكاتب على التحبير والتنميق وأنّ يذيعها في الناس كما يذيع الموسيقار أو المصور أثره الفني؟.

أمّا ما جاءنا عن رسول الله ﷺ فلا نلمح فيه أثر من هذا الجهد الفني الذي يريده الفنانون لآثارهم[3].

---

[1]– ينظر فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)، دار الشروق،بيروت،ط3،1402، 1982، ص :59.

[2]– ينظر المصدر نفسه، ص :60–61.

[3]– شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه ،نقلا عن فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)، دار الشروق ،بيروت، ط3 ،1982،1402، ص: 62:.

فالجهد اللغوي هو وليد سعة الإطلاع والمهارة العقلية فكتابات النبي ﷺ تثبت أنّها لا تعرف ما سمي بالتنميق والتحبير.

فالكُتاب النابهون، جميعا كُتاباً رسمين يعملون في الدواوين ويؤجرون على ما يكتبون[1].

فمعظم كتابتهم تلقى إليهم من السلطة الحاكمة ،كالخليفة أو الوزير وبالتالي، لا يصبحون موظفين، إلاّ إذا أظهروا تفنناً وبلاغة في كتاباتهم. فهؤلاء هم من خلقوا هذا اللون من الكتابة ذلك أنّ اهتمامهم بأشكال اللفظ كان اهتماما كبيرًا وهذا ما شغل دارسي النثر حتى أنّهم ألغو ما للنثر العربي من أشكال وصور أخرى تعبيرية وعميقة، سوى صورة مشوهة بلا دلالة نفسية موحية ولا غني فني عميق

والمدلولات تحمل قيماً اجتماعية وتاريخية أكثر منها فنية وبالتالي فإنها لا تمثل الأدبية بالمعنى الحقيقي فالفكرة الواحدة قد تحملها آلاف الصيغ، لكنها تظّل نفسها ومع ذلك فإنّها تسموا وتنحط من محتوى إلى آخر رغم تماثل المعنى ، ومن هنا وردت فكرة الحديث عن الشكل بدل هذا المضمون الواحد والمتغير[2].

التدوين :

يرى الباحث فاروق خورشيد أنّ الكتابة التاريخية كانت بادئة ولم تكن متطورة كغيرها من الكتابة السياسية وفي نفس الوقت الذي ظهرت فيه الكتابة الديوانية وتطورت إلى أنّ وصلت إلى صورتها المتكاملة عند بعض الدارسين أمثال عبد الحميد وأستاذه سالم. كانت هناك حركة أخرى سبقتها في الظهور وتسمى بحركة التأليف القصصي الروائي أو ما يسمى بحركة التدوين التاريخي التي اشتدت في العصر العباسي إلّا أنّ البدايات الأولى لها كانت في العصر الأموي.[3]

[1]–ينظر: المصدر نفسه ،ص:61.

[2]–ينظر،نبيلة زويش،تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السيميائي،منشورات الاختلاف ط1،الجزائر،2003،ص8

[3]– ينظر، فاروق خورشيد ،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق ،بيروت ،ط3، 1982،1402،ص:63

فابن النديم في الفهرست يذكر أنّ زياد بن أبيه، قد ألف كتابا في مثالب العرب، وكتاب دغفل النسابة البكري المسمى بالتظافر والتناصر، كما يذكر ابن سعد في طبقاته أنّ عبد الله بن عباس كانت له مدونات كثيرة تُظهر لنا صورة منها في الكتب المتأخرة ككتاب التيجان لوهب ابن منبه.

حيث ينقل عنه روايات حول ذي القرنين وبعض القصص الإسرائيلية المأخوذة من التوراة وأخبار الإسرائيليين والتي كانت تشبه الملاحم التي ظهرت في العصور الإسلامية[1].

أمثال عنترة والظاهر بيبرس والأميرة ذات الهمة، والتي كانت تمتاز بسمو الأسلوب وفصاحة اللغة كما لا يختلف كتاب التيجان لوهب عن كتاب عبيدا ابن شريه في طريقة العرض فهما يطلقان العنان لخيالهما في تصوير الوقائع والحوادث التاريخية للخروج إلى خطّ الأسطورة كما يدخلان بعض الحوادث التاريخية التي لا أصل لها ولذلك يصدق عليها اسم القصص التاريخي.

ويقول عنه الدكتور حسين نصار في كتابه "نشأة التدوين التاريخي عند العرب "هو ملحمة من أجمل الملاحم العربية النثرية التي تتناول تاريخ العرب الجنوبيين حيث يلعب الخيال دوراً كبيرا متخلل الشعر فحواها ليزيدها من الجمال والعذوبة والقطع النثرية الأرجوانية .

الذوق العربي:

تعد هذه الحركة استمرارا لحركة سبقتها في الجاهلية عنيت بالقصص وحكايات التاريخ والأبطال واستمرت أثناء الإسلام كما احتاجها المسلمون حين توسعت رقعة الدولة واختلفت وتشابكت فيها صورة الحياة[2].

فكانت الحاجة إليها أكثر لتثبيت المعاني الدينية وتدوين أحداث الرسالة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم- ولتفسير إشارات القرآن إلى أحداث التاريخ لما كان فيها من قصص وحكايات .

فمعاوية كان يروى عنه أنّه ": كان يستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة ثم تأتيه الطرف الغربية من عند نسائه من

[1]- ينظر: المصدر نفسه ص 64.

[2]- ينظر: فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)دار الشروق،بيروت،ط3،1982،1402ص:65

الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد، فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبون،وقدُ وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات"

فالذوق العربي كان يرتكز على نتيجتين:

الأولى: كان يميل إلى القصص وأخبار الأبطال فمعاوية يمثل الذوق العربي الأصيل الذي كان يعني عناية كبيرة بأحاديث من مضى وكتاب دغفل النسابة عبارة عن مجالس وأسمار دارت في بلاط الخليفة معاوية.[1]

فالقصاص كانوا يجمعون بين روايات الحكايات المأثورة وبين الوعظ الديني.

وما يمكن قولهُ أنّ الذوق العربي كان يميل إلى هذا اللون من الإنتاج وُيقبل عليه إقبالا شديداً دعا معاوية إلى تعيين قاص بالمسجد يقصّ عليهم قصصهم الحاملة لكل معاني الوعظ والإرشاد.وبالتالي فهي تختلف عن قصص العامة التي كان يجتمع فيها النفور من الناس حول قاص يستمعون إليه.

أما النتيجة الثانية: أنّ نشأت التدوين لم تتأخر حتى العصر العباسي بل نحن نرى معاوية كان يأمر أهل ديوانه بتدوين ما يقول ومن هنا فالتدوين عرف قبل الإسلام وذلك أنّ هذه الدفاتر لم تكن بدعاً في هذا العصر[2] فقد جاء في سيرة بن هشام أنّ سويد ابن صامت قدم مكة معتمرا وكان قومه يدعونه بالكامل لجلده وشرفه ونسبه.

فتصدى له رسول الله –ﷺ –حين سمع به فدعاه إلى الإيمان بالله والإسلام، فقال له سويد: "فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال له رسول الله –صلى عليه وسلم– وما الذي معك به قال:" مجلة لقمان" أيّ الصحيفة التي فيها لقمان وحكمه فالرسول كان يتخذ من صحابته كتبه للوحي وبالتالي فالتدوين كان معروفا قبل الإسلام وعما دون قبل الإسلام من أخبار وقصص نقلت إلينا.

[1]– ينظر:المصدر نفسه ، ص:66.

[2]– ينظر،فاروق خورشيد،الرواية العربية ،(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3 ،1982،،1402ص: 67–68.

فالتدوين لم يكن بدعة تحتاج إلى دخول الفرس إلى الإسلام ليتعلمها العرب، وإنّما هم عرفوها قبل أنّ يدخل الفرس الإسلام بل قبل أنّ يعرف العرب الإسلام.

فالذي جاءنا شاهداً على وجود ما حفظه من الزوال إلاّ الكتابة والقرآن خير دليل.

وإلى هذا الحد انتشرت الكتب والكتابة بلغت ذروتها إلى عمادة القراءة والكتب ،فالعرب عرفوا التدوين من العصر الأموي أو قبله بكثير وقد عنيّ النقاد بالنثر الذي يعتمد على الشكل والزخرفة وأخذوا يؤرخون لكاتبيه مهملين بذلك القصص المدونة والمنقولة عن الرواة في كتب التاريخ والأخبار والطبقات[1] ،ولقد برزّ الدارسون هذا السلوك باعتقادهم أنّ الذي جاءنا منه إنّما روي بالمعنى لعدم معرفة العرب بالقراءة والتدوين .

فالعرب قد عرفوا التدوين منذ زمن بعيد ومبكراً جدا لأساطير وقصص الأمّم السالفة وأخبار ملوك العرب وشعرائهم.فالقصص هي التي حفظت لنا الشعر الجاهلي فمعاوية كان لا يرضى من عبيد بن شرية قصة إلا وهي محلاة بالشعر ، فكانت ظاهرة ورود الشعر على ألسنة أبطال الراويات التاريخية تؤكد أنّها وضعت للقصص وليس للتاريخ، فمعظم القصص لا تستقيم ولا تبرز قيمتها

الفنية إلاّ إذا كانت تخللها مقاطع شعرية تزيد من جمالها ويقدمون من خلالها قصصا قصد الإمتاع الغني والزخرفة ،فالنثر الفني هو أداة للتعبير عن الحياة ويترجمها، ويفسر أحلامها وأمانيها فلا يهمنا الصنعة، إذا توفرت أو انعدمت فنحن نرفض أصحابها الذين استخرجوا ما جاء به الشعر من سجع وأمثال فقاموا بحفظه[2] .

ويضيف الكاتب فاروق خورشيد، أنّ دراسة هذا اللون من النثر تبدأ عصر هذه الكتب التي دونت في صدر الإسلام والتي تعد صورة للنثر الجاهلي أو بمثابة استمرار لها. فهذه الكتب هي عبارة عن قصص تقوم على رواية أحداث وسير وأخبار فالفن النثري الجاهلي الأول كان هو القصة والرواية أماّ صور الخطابة والسجع فهي مجرد أعمال سياسية والرسائل أعمال ديوانية وليست فنا وليست أدبًا، إنّما

[1]– ينظر: المصدر نفسه ، ص : 69–70–71–72.

[2]–ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3 ،1982،1402،ص : 73–74

هي عبارة عن صناعة تدل على المهارة والتفنن في الشكل محلاة بالذكاء والتنميق لا تعبر عن جوهر كاتبها وهدفه وإنمّا تسعى للخروج بصورة ممتعة لما يحسون به واستجابة لأغراضهم ومصالحهم جميعًا.

مراحل دراسة الرواية العربية :

- يرى صاحب الكتاب –فاروق خورشيد- أنّ دراسة الرواية العربية تمر بعدة مراحل، فهي تبدأ أولا، بمرحلة كتب الأخبار التي ظهرت في العصر الأموي واستمرت حتى العصر العباسي

فتدل على خصائصها ومميزاتها وتبين ملامحها كتب وهب ابن منبه وعبيد ابن شرية من خلال ابن هشام ثم تأتي مرحلة التأليف المعاصر، في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي، مثل كليلة ودمنة، وسيرة ابن إسحاق التي يقدمها للأدب العربي ابن هشام في حين يظهر القصص الشعبي في أمثال كتاب ألف ليلة كما نلمح صورة من الرواية العربية في سيرة عنترة وذات الهمة وسيف بن ذي يزن، وحمزة البهلوان فالمرحلة الأولى تمثل مرحلة بدء التدوين أو مرحلة التجميع فهل تستحق هذه المرحلة عناء البحث؟

– إنّ الإطلاع على الكتب والصور التي ينقلها وهب ابن منبه وعبيد بن شرية تمثل صوراً خالدة مكتملة صادقة تعبر عن الإنسانية وحيرة الإنسان وترسم بوضوح صراعهُ مع القدر والحياة، والطبيعة[1] .

كما تمثل صوراً للصراع ضدّ الغرائز ومحاولة التغلب عليها وهي بذلك أكثر صدقاً وإبانة من الصورة التي ينقلها الشعر أو تنقلها الخطابة.

فمن المؤسف أنّ نلمح في أبحاثنا المعاصرة حديثا حول السجع والترسل والترادف وأشباه هذا العبث دون الإلتفات إلى القيم التي يزخر بها التراث الأدبي النثري.

المتمثل في التراث القصصي المتفرق في كتب الأخبار والأدب حينا والموجود في كتب القصص والليالي والسير.

حركة التجميع القصصي:

إن حركة التاريخ والقصص كانت واحدة من الحركات الفنية والعلمية التي نبعت كضرورة حتمية لمحاولة فهم القرآن وشرح آياته والتعرف على أحكامه ...، ولهذا لم يكن غريبا أن تبدأ هذه الحركة منذ عصر الخلفاء الراشدين، فحركة التجميع إذن لم تتأخر إلى عصر التدوين في أيام العباسيين، وإنّما بدأ التجميع منذ الخلفاء الراشدين، ونحن نزعم لبدئه أسباباً هي:

1) الحاجة إلى تفهم سورة القرآن والتعرف على دلالات ما نحكي من قصص، فكان لا بد إذن من رواية هذه القصص بتفاصيلها ووقائعها.
2) يقول فاروق خورشيد إنّ التطلع إلى المعرفة لم يأت بعد الإسلام، وإنّما هو بدأ عند العرب قبل الإسلام بكثير وأنّهم عرفوا عن طريق هذه الرغبة الملحة في المعرفة الكثير من الأساطير

[1] – ينظر، فاروق خورشيد،الرواية العربية،(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3،1982،1402،ص :75.

والحكايات تناقلوها واستمعوا إليها قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام استمروا في شغفهم هذا بالقصص والأساطير وقد وجدوا في قصص القرآن ما يسدّ حاجتهم إلى الكثير من المعرفة.

3) وهناك دافع نفسي لا يقل خطرًا وأهمية عن الدافعين السابقين، ذلك أن جزيرة العرب كانت لها في هذه الأساطير التي عرفتها منذ جاهليتها، وجاء الإسلام بأحداث خطيرة أسهم فيها كل المسلمين من عرب وغير عرب، ومن الطبيعي أن تتطلع النفوس إلى خلق القصص والأساطير حول الأبطال الجدد كما كانت تخلقها وتحكيها عن الأبطال القدامى، ومن هنا كان الاهتمام بأخبار الغزوات والمعارك.

4) دخل الإسلام الكثير من أبناء الشعوب الأخرى ولهؤلاء أساطيرهم وقصصهم، بل لهؤلاء تاريخهم وأبطالهم ومن الطبيعي أنّ يدخل هؤلاء الوافدين تاريخهم وأساطيرهم وقصصهم إلى الحياة الجديدة التي دخلوها...والتاريخ والأساطير والقصص هي أول ألوان المعارف تداولا ثم تأتي بعد هذا مرحلة ترجمة العلوم ونقل الفلسفات.

5) اتخذ القصص أداة من أدوات النضّال بين الشيع والأحزاب، أي استغل استغلالاً سياسيا للترويج للأشخاص والمبادئ، بل إنّ ما عرف عن العرب من تنازع الرياسة والفخر والشرف وكان ولا شكّ أحد أسباب رواج القصص.

6) وهناك سبب أخير لعله كان من أسباب الوضع والتأليف لا في القصص وحسب وإنما في الحديث كذلك، ذلك هو حاجة المسلمين في تفسير آيات القرآن إلى معرفة أسباب نزولها ومكان نزولها، كما احتاجوا إلى ما يمكن أنّ يفسر لهم الكثير من الأحكام من حكايات العرب قبل الإسلام وتقاليدهم وحياتهم وعادتهم...، وقد أورد السيوطي في الجزء الثاني من الإتقان قوله أحمد ابن حنبل، "ثلاثة ليس لها أصل: التفسير، والملاحم، والمغازى"

والإمام أحمد يعني أنها أقرب إلى القصص منها إلى الحقائق التاريخية المتواضع على صحتها...[1]

– ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع) دار الشروق، بيروت، ط3، 1402هـ، 1982م، ص77، 78، 79، 80.

1– ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، ط3، 1402هـ، 1982م، ص: 81،82، 83، 84.

أنواع القصاص:

تمهيد: يعتبر الفن القصصي في مختلف العصور من أقدم الألوان الأدبية ارتباطاً بالتفاعلات الاجتماعية وقد أصبح ضرورة ملحة تفرضها الظروف .

وللأعمال القصصية عدة اتجاهات ومدارس وهذا ما يدّل على أهمية هذا الفّن حيث ظهرت لنا عدة أنواع من بينها : الأسطورة ، القصة القصيرة .

فالقصة كغيرها من الفنون لها جانب التأثير والتأثر وتكتب حسب النّمط والمذهب والوقت والحاجة ، فهي سيادة الأدب المنثور لأنّها تبعد الملل من نفوس القراء .

والقصة : هي سّرد الأحداث أو الوقائع بطريقة شيقة ، أو هي تشكيل للواقع تشكيلا فنيا لرؤية جمالية ، تتميز بطابعها الإنساني ، وبحلتها الأنيقة باتساعها لأداء شتى الأغراض بطريقة تعتمد على السرد والوصف والحوار يرى الباحث فاروق خورشيد أنّ الأدب العربي عرف فنّ القصة منذ القديم ،

إلاّ أنّه لم يرتق إلى المستوى الفني المرموق إلاّ في العصر الحديث عندما اتصل أدباؤنا العرب بالآداب الأوروبية الغربية ، ولهذا قسم الكاتب القاصين إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول:

القصاصون الكبار : من أمثال عبيد ابن شرية ، ووهب ابن منبه ممن كان يأخذون عنهم ، وممن ذكروا وتتبعوا تاريخ وقصص أمجادهم ، منذ أنّ خلقوا كما تتبعوا أخبار العرب وأساطيرهم فيرى الجاحظ في البيان والتبيين أنّ جعفر ابن الحسن كان أول من قصّ في مسجد البصرة ، وفي المدينة كان من كبار القصاصّين مسلم ابن جندب الهذلي ، وكان قاّصّ مسجد النبي ﷺ .بالمدينة [1].

والواقع يعتبر هؤلاء مركز حركة التجميع القصصي ، حيث ولت أعمالهم على إشارة لأساطير خالدة لبيان أهميتها في عالم القصة ، كما تحمل معاني إنسانية لا تتنافر عن مثيلاتها في الآداب العالمية "[2] وأشهرهم في المتأخرين الشاعر الفرنسي "لافونتين " ومن هذا قول النابغة في هذا المثل البديع .

أليس لنا مولى يحّب سراحنا فيعذرنا من مرة المتناصرة "[3]

أمّا النوع الثاني : القصاصون غير الرسمين:

يحسب الكاتب فاروق خورشيد أنّ هذا النوع ما هو إلاّ عدد من المؤلفين للحكايات والأساطير ، فمنهم يتطوعون بتأليف هذه القصص من نسج مخيلتهم ، دون اللجوء إلى علم قديم يستندون إليه وذلك جهدا منهم للوصول إلى عامة المجتمع .

فلا تقتصر قصصهم على إظهار الجوانب الفنية فقط ، بل تتجاوز إلى طرح قضايا اجتماعية وقومية عاطفية ، لأّنّ الإنسان مطبوع على حّب القصص ، يرويها ولا يسع أنّ ينفخ فيها الروح لأنّها من الخيال .

---

[1]–ينظر،فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط1982،1402،3،ص:134،133

[2]الجاحظ،في البيان والتبيين،نقلا عن،فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق ،بيروت،ط3،1982،1402،ص:135،136

[3]– مصطفى صادق الرافعي، (تاريخ آداب العرب)، دار الكتاب العربي 1424هـ ، ط1 ، ، 2003 ، ص: 90.

وهكذا عدّ الغزالي في كتابه الأحياء عمل هؤلاء من المنكرات فهم يكتبون قصصا تخلوا من الوزن والقيم الخالدة المرتبطة بالحياة الاجتماعية ارتباطاً وثيقا ، بل إنّهم يسردونها في قالب خيالي وغير واقعي . اعتبارا منهم أنّها ملك وعلم من صنع عقولهم ...."[1].

النوع الثالث : القصاصون الرسميون :

يرى المؤلف فاروق خورشيد ، أنّ أصحاب هذا النوع يعتبرون من أصحاب الترهيب من النار والتذكير بالآخرة ، كون أن قصّصهم تحتوي على أعمال فيها الموعظة ، والتبليغ ، وإرشاد الإنسان إلى الطريق الناجح ، صادرة أقوالهم عن مجرب خبير يوجه إلى من يجب أنّ ينتفع منه .

ومن قصص هؤلاء الحسن البصري التي تداولت في كثير من كتب الأدب في قوله " يا ابن ادم لم تكن ، فكنت ، وسألت فأعطيت ، وسئلت فمنعت فبئس ماصنعت "[2].

من خلال قوله نراه قريب إلى الوعظ والإرشاد ، أكثر من قربه إلى القصص كما كان يفعل تميم الداري ، وواصل ابن عطاء ، كما أضاف الدكتور شوقي ضيف هذا القصص ، بحق الخطابة الدينية ، غير انه ليس ولا يعد عملا قصصيا كون الخطابة تعتمد على إثارة عواطف السامعين ، وجذب انتباههم وتحريك مشاعرهم ، كما تعتمد على التذكير والتفكير، متتبعين في هذا الباقلاني، صاحب إعجاز القران وعلماء عصره العباسيين فالقران الكريم شيء فريد من نوعه ، فمن الحق أنّ نضع القران

[1] –ينظر، فاروق خورشيد ، الرواية العربية ، (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3،1982،1402،ص:86.

[2] ينظر فاروق خورشيد ، الرواية العربية ، (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3،1982،1402، ص : 87،88

في مقامه الخاص الذي لا يصح أنّ يقاس به شئ آخر، كما أنّه صورة تعبيرية تعبر عن الذوق الذي جعله قائم بذاتها" [1].

" يعتبر القران الكريم دستور الأمة الإسلامية تحت لواء الرسول -ﷺ – وهو الماضي والحاضر والمستقبل، الذي لا يتعرض لأي تحريف ، وهو المنزه عن أي خطأ ، وهو الكامل والشافي لأي داء موجود في أي مكان وزمان ، وهو المثل الأعلى،إنّه القرآن آمن به إيمانه الحب والتسليم في سبيله،يدافع عن حبهم أو قد يفسر على أهله في سبيل ترتيله وتفهمه عملا به" [2].

كما أنّ القرآن الكريم لم يوقف حرك الإنتاج الفني والتي تسمى بعصر ما قبل الإسلام، ويسمى العصر الإسلامي بعصر ما بعد الإسلام.

وقد صنف ابن سلام الجمحي في كتابه (طبقات الشعراء) ، إلى صنفين فأمآ الأولى تسمى بشعراء الجاهلية لغلبة الصبغة الجاهلية على شعرهم ،بخلاف النثر الذي كان يختلف عن الشعر في العصور الإسلامية ، وكان حّظ النثر من الحفظ أقل من حظّ الشعر "[3]

ومن هنا نتساءل ما هو كلام الإنس، وما هو كلام الجّن ؟

إنّ المقصود بكلام الجّن هو سجع الكهان.

يرى المؤلف فاروق خورشيد ، أنّ هذا النوع من النثر في العصر الجاهلي له طائفة معينة كانت تدعي التكهن ، وإنّما على دراية ومعرفة بأمور الغيب ، كما كان كل كاهن يزعم أنه قد سخر الجّن ليأتيه بأخبار الناس.

[1] –ينظر، المصدر نفسه ، ص: 88.

[2] محمّد عبد الواحد حجازي ، اثر القران الكريم ف اللغة العربي ، دار الوفاء ،د.ط ، الإسكندرية ، 2008 ن ص: 140.

[3] ينظر، فاروق خورشيد ، الرواية العربية ، (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3،1982،1402، ص : 45،46

'فإذا لم يستطيع الشاعر أنّ يرفع ويضع ، وأنّ يبعث لسانه مع الموت إلى الموتى بحيث يكون كما وصفوا الجني بأن فمه يتأجج نارا ، من أجل هذا كان الشعراء يجنحون إلى اعتقاد أنّ شعرهم أحرف نارية تلقي بما الجّن على ألسنتهم وأنهم إنّما يتناولون من الغيب ، فهم فوق أنّ يعدوا من الناس ودون أنّ يحسبوا من الجن ، فإذا جاء احدهم بالقصيدة البارعة ورمى الكلمة الناقدة ، ضرب قلبه أنها من هناك ، وأنه إنّما يؤديها عن لسان قائلها ، ومن ذاك قول أبي الوجيه العكلي في أمر :" كان ذلك حين ركبني شيطاني أقبل : وأي الشياطين تعني ؟ قال: الغضب كما يسمون به الكبر "[1] .

فقد ساهم القران الكريم بدور كبير في القضاء على هاته التكهنات الغيبية لدى الشعراء في العصر الجاهلي .نتيجة لما أتى به من صور بلاغية مؤثرة ، جعلت الناس ترى ما يأتيهم من الجن أمر باهتا كذلك نهى الرسول صلى عليه وسلم عن سجع الكهان ، كما جاء في إعجاز القران للباقلاني ، فكان هذا النوع من الكتابة تأثيرا على عقول الناس ، لما يحتويه من دلالات مؤثرة .

كما كان الشعر يحمل قيما زائفة من إثارة وعصبية للشر والفساد فكان الإسلام يحاول بدوره القضاء عليها لما يتبناه من قيم في النفوس ليستفيد واحد هم عنها للابتعاد عنها ، وهذا ما كان في كلام الوليد ابن المغيرة الذي اعتبر الشعر إلهاما من قوى الجن الخفية وان لكل شاعر شيطانا يلهمه ما يقول أما بالنسبة للنثر ، فإنّ المعركة البلاغية التي خاضها القران الكريم ضده ، فتعتبر من أهم المعارك الحقيقية ، خاصة فيما يتعلق بذلك النثر الكافل بالمضمون والشكل ، لاعتباره ذو فعالية أثرت في عقول الناس تأثيرا بليغا على كل فئات البشر [2]

[1] مصطفى صادق الرافعي (تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي)، بيروت لبنان ،ط1 ، 1424هـ ، 2003. ، ص:41 .

[2] ينظر فاروق خورشيد ، الرواية العربية ، (عصر التجميع)، دار الشروق ،بيروت ،ط3،1982،1402،ص : 47،48،49.

كتاب التيجان :

يرى المؤلف فاروق خورشيد أنّ التركيز يكون بالمقام الأول في عصر التجميع، على هؤلاء الذين جمعوا في قصصهم، كل ما يروى عن العرب وأخبار ملوكهم والأساطير التي تحكى عن أبطالهم وملوكهم.

فهؤلاء يمثلون البداية الأولى للقصة العربية في الجاهلية، وتحدد لنا القيمة الفعلية للقصص الجاهلي وأهميتهُ ومن هنا نبدأ الحديث عن كتاب التيجان لوهب بن منبه و قد رواه أبو مُحَمَّد عبد الملك ابن هشام عن أسد ابن موسى عن أبي إدريس ابن سنان عن جده لامه وهب ابن منبه. والملاحظ أنّ ابن هشام تدخل أثناء التدوين لإضافة أحداث متأخرة. وما يعد استطراداً لحكايات وهب ابن منبه عن الأحداث المتقدمة.

فالكتاب لم يحن وقته للدراسة، وإنّما نريد أنّ تفرض بعض الأساطير والحكايات التي تحولت إلى أعمال قصصية ثم العودة لدراسة الكتاب ومنهجه وطريقة تأليفه وأهم القضايا الواردة فيه والتي تحتوي على قيم إنسانية لها علاقة بالحياة الاجتماعية.[1]

[1]– ينظر: فاروق خورشيد ،الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط 3 ،1982،1402، ص : 88.

مضاض ومي :

الحارث ابن مضاض الجرهمي، أسطورة عاشت ثلاثمائة عام ،مائة منها كان ملكاً على مكة وباقي عمر تائهاً ضائعاً يجول هنا وهناك بلا هدف فيما يشبه بعض الأساطير[1] ،هذه القصة طويلة تبدأ حين يلتقي أياد بالجرهمي التائه، ويظلان في جولتهم، فكلما يصلان إلى مكان يقصّ عليه الجرهمي قصة وما يحمله من اسم وارداً فيها أجمل الأساطير وأكثر شاعريةً وجمالاً كما أنّها تُعرف بعقلية الشعب العربي وفهمه للحياة والمثل العليا.

كما تعتبر هذه الحكاية من أجمل الحكايات التي جاءت في كتاب التيجان لوهب بن منبه[2].

قال الجرهمي: لما صار مضاض ابن أخي عمرو ملكًا بمكة فلم يكن بمكة ،فلم يكن بمكة وما ولاها أجمل منه، وكانت من بنات عمه من بيت الملك جارية تسمى ميا بنت مهليل بن عامر وكانت معه في نسق واحد، فلما رآها فتن بها وفتنت به وصان مئزره عنها، فلما بلغ الهوى بينهما قدر الفضيحة شكوا أمرهما للملك والذي أمر بتزويجهما بيدا أنّ الشهر الأصم – رجب- هجم عليهم، حيث لا يصح فيه أمرا إلا العمرة والطواف فكان أمرهم- الزواج- من الصعب أنّ يكتمل[3] ، اعتذر مضاض وطاف كما أقبلت ميا على الطواف متنكرة غيرة منها على مضاض الذي كان لا يعلم بمكانها ، وكان قبيس بن سراج من رهط حقير في جرهم يهوى ميا، وهي لا تعلم بأمره، فكان قبيس يراعي

[1]– ينظر،فاروق خورشد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دارالشروق،بيروت،ط1402،3،:1982 ،ص:89.

[2]– ينظر،المصدر نفسه، ص : 90،91.

[3]– ينظر، المصدر نفسه، ص : 92،93

أحوالها فرآها تطوف راعيةً أحوال مضاض وكانت رقية بنت البهلول تطوف، وفي غاية العطش كون أنّ اليوم قائظ، فلما رأت مضاض نادت به لشبيبته فطلبت منه أنّ يسقيها جرعة ماء خوفاً أنّ تموت ظمأً فلما رأته ميا اشتعل قلبها ناراً وسقطت مغشيا عليها ترعد لا تدري ما هي فيه.

قامت ميا وهي لا يستطيع الطواف، لما رأته عينها، وشكت أمرها لأبيها، الذي طلب منها الرحيل بعيدًا عن مضاض لا يعلم أحدًا بموضعها فقالت:

مَضَاضُ غدرتَ الحَب و الحبُّ صادقٌ

و الحبُّ سلطانٌ يُعزَّ اقتِدَارُه

غدرْتَ و لم أغدِرْ للعهدِ موثقٌ

و ليس فتي من لا يَقَرُّ قَراره

إذا جاءني ليلٌ تململتُ بالذي

دعا كبدي حتي تمكن ضاره

أبيتُ أقاسي النجمَ و الليلُ دامسٌ

و للنَّجمِ قطبُ لا يدورُ مدارهُ.[1]

قال الجرهمي: أتاها قبيس بن سراج وأصبح يأيتها بأخبار ليفرق بينها وبين مضاض، فروى لها أنّه رأى عجبًا فقال: رأيت مضاضاً واضعاً كفيه على رقية بنت البهلول في الطواف وكان مضاض سائحاً وبارحًا، سقاها ماء بيده فشربت وناولته فقال فيها شعراً.

– رقية قلبي قد تباين صدعة

وللحب منى شاهد ودليل

رأيت الهوى يهوى وللوصول واصل

فهل لك أنّ يلقى الخليل خليل

فأجابته رقية فقالت:

[1]– ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3 ،1982،1402، ص : 94،95.

أصون الهوى والطرف مني كاتم

ولا يعلمون الناس إذا ذاك مادائي

سوى أنّني قد فزت منك بنظرة

تجرعت عذب الحّب من مع الماء.

– بلغ الأمر مضاض، ركب فرسه وأخذ سيفه وخرج يريد قتل فبيس الذي خرج هاربًا في الصحراء. فلما أصاب مضاض ميا راكبة على نجيب في هودجها، فقصدها طالبا منها البقاء وأنّ لا تغدرها من لم يغدرها قائلاً:

يعشى عن الناس لحظ طرفي

وعنك يا مي غير عاشي

أتهجرينني بغير ذنب

وتقتليني بقول واشي.

فولت عنه وعيناه تغرورقان دموعًا وتجهمته ميا، مما جعل مضاض أنّ يُعد نفسه بأنّ لا يشرب بعدها الماء، فجال حتى غلب عليه العطش وانصدع قلبه في صدره لما خامره اليأس حتى بلغه الموت[1].

أمامي فقد لقيت رقية التي أعلمتها بأنّ ما كان بينها وبين مضاض سوى لقاء عابر وأنّه سقاها الماء ولم تره إلى اليوم. وأتاها من أمر قبيس وما دسّ بينهما فندمت وبحثت عنه لكنها لم تجده

بينما هي تسأل جيء لها بخبر مضاض، فقررت أنّ تتوارى عن الحّي، وتبعتها جارتها مؤانسة لها – فبينما هي كذلك سمعت نساء الحّي ينتحبن وعلت أصواتهن فبكت وقالت:

أيا موطن الموت الذي فيه قبره

سقتك الغوادي السارياتِ الهوامع

ويا ساكناً بالدوحتين مغيباً

لأنّ طرت عن ألف فالفك تابع.

[1]– ينظر، فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3، 1982،1402ص :96، 97، 98

قررت ميا في نفسها، أنّ لا تشرب الماء، فأقامت يومين وليلتين ولما كان اليوم الثالث، غشيها الموت ولم يسمع بها أحد سوى سلمى.

– يبين الكاتب فاروق خورشيد أنّ قصة مضاض ومي هي واحدة من القصص التي نقلت من كتاب التيجان لوهب ابن منبه والتي تشير إلى التساؤل حول الذين كانوا يزعمون أنّ الإنسان الجاهلي لم يعرف سوى حب المادة المجسدة، وأنّه كان خالي المشاعر والعاطفة الجياشة بالحب والمودة[1]،كما كان لعنصر التقاليد دورًا مهما في القصة العربية فغيرة مي على مضاض ليست غيرة محبة وحسب، وإنّما غيرة امرأة عربية من مثيلتها فهي غيرة لها علاقة بالأحساب والأنساب وكان ذلك في قولها يا أبتي إنّ مضاض ابن عمي دعا قلبي فأجابه، فلما أجابه قذف الهوى رأيته يلاحظ رقية بنت البهلول ويسقيها ماء[2]، وهكذا تجتمع العوامل بعضها ببعض من طبيعتها كإنسانة تحب وتغار فهي طبيعة عربية تثور و تغضب لكرمتها، ثم يأتي العامل الثالث الذي يوصل بالفاجعة إلى قمتها حيث تمثل في الحقد الذي كان يُكنه قبيس والذي يعتبر مصدر الحزن والأسى، حيث رأى ما حدث كلّه، واشتعل حقده، جعلته ينسج قصة وهمية يدخلها على مي.

في قصة توجد وسيلة من وسائل الموت والتي تمثلت في العطش فاختياره هذه الوسيلة يتفق مع طبيعة البيئة العربية الصحراوية .

ويكاد يبلغ الصدق الفني في القصة، أعلى المراتب فالعطش يشكل المحور الرئيس في الفاجعة، كما يلعب الماء دورًا مهماً وحقيقياً، ودوره الرمزي الذي يطيل الرحلة، كما هو رمز للأمان وبلوغ الهدف حين تنتهي الرحلة إلى واحة أو قرية، ومن هذه القصة نصل إلى صورة متكاملة من الأخلاق العربية، والتقاليد باختلاف ما كان يصّر عليه بعض الدارسين من صورة مشوهة باهتة.

[1]– ينظر،فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3،1982،1402، ص :99، 100.

[2]– ينظر، المصدر نفسه، ص : 101،102 ،103

فلو قارنوا هذه القصة التي تأتي من عصر جاهلي، بقصص متأخرة كقيس وليلى، وقيس ولبنى وقصة جميل وكثير لأدركوا أنّ ما يعرفونه عن حب العربي للمرأة يمثل جانباً واحداً من جوانب العاطفة لديه.

كما أنّ الإنسان الجاهلي في نظرهم خشن أقرب إلى التوحش لا يمثل إلا جانبًا من حياة هذا العصر بل هو صورة متكاملة فحواها الحب والعاطفة والمثل الرفيعة، فقصة مضاض ومي تمثل صورة إنسانية نابضة بالحياة،في مختلف الآداب العالمية كروميو وجوليت، وهي تمثل تلك الخصائص العامة المشتركة الموجودة في كل الآداب كما تمتلك الخصائص العربية التي تتحكم في أسلوب القصة وشخصيات أبطالها وطريقة سير الأحداث[1].

وتدخل المصادفة لتلعب دوراً مهما في القصة، فشهر رجب أو كما يسمى الشهر الأصم الذي أجّل الزواج بين مضاض ومي فالمصادفة ليست عفوية وإنّما هي إرادة القدر أو القوى الكبرى التي تدخل لتغير مجرى أحداث القصة فحين اتفق الجميع على نهاية سعيدة حلّ شهر رحب كالقدر لمنع هذا الزواج ويقف بينهما تحت رحمة الشرّ تفرق بينهما.[2]

كما يلعب الحوار في القصة دوراً بارزاَ، ويتجلى ذلك في الشعر الذي يبرهن وضوح اللغة عند الجاهليين فهذه القصة دونت في العصر الأموي، فعصر التدوين قريب جداً من العصر الجاهلي ، ولغته أقرب إلى اللغة الجاهلية.

وهكذا يشير الباحث، إلى أنّه كانت هناك لغتان، إحداهما عرفها محترفوا الكتابة من أصحاب السجع.

أما الثانية فهي اللغة السهلة والعذبة الشعرية، والتي تعد الأقرب إلى أنّ تكون لغة الاستعمال المتداولة.

أماّ هذه الصورة الغريبة التي تنقلها الخطب وسجع الكهان فهي لغة التصنع والتكلف التي يعتمدها أصحابها تعمداً، وهي بالتالي ليست المظهر الفني لهذه اللغة فقصة ابن مضاض نُقلت إلينا في كتاب التيجان مختصرة ولكنك تلمح فيها مواضع كثيرة للحوار وتجلي ذلك في قوله أبيها فمالك يا بنية"

[1]– ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)،دارالشروق،بيروت،ط3 ،1402،1982،ص : 104.

[2]– ينظر، المصدر نفسه ، ص : 105،106.

قالت: "انصدع قلبي"، وما يمكن قوله، إنّ قصة مضاض ومي، تعتبر كتكملة طبيعة لقصة الحارث ابن مضاض ،وأنّ مصرع العاشقين بالعطش يشير إلى الضياع.

الحارث ابن مضاض :

تُعدّ من بين القصص الأكثر أهمية في كتاب التيجان نتيجة لضياعها هكذا،و الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم المتوجين كان ملكًا بمكة وما والاها من الحجاز والتهائم وحضر العالمين إلى مدائن ثمود كما كان عمرو بن مضاض ملكًا إلى جانب أخيه الملك .

كانا أهل تيجان وعزّ، حيث كانا يعلقان التاج يوما على رؤوسهما وعلى الرتاج بالبيت العتيق يوما آخر، وفي أحد الأيام أتى رجل من بني إسرائيل يبيع بدرا وياقوت، فاشترى منه عمرو ما أتي به من الدّر والياقوت كما أضاف فيه العقيان والمرجان حتى جعله كالمجن لكن التاجر الإسرائيلي غيب ما كان عنده من الياقوت ثم عرضه على الناس ليبيعهُ إياهم فبلغ الخبر الملك، فقام بدعوته وسؤاله عن سبب حيلته وغشّه للملك، وكان ذلك بإعطائه ياقوتاً مزيفاً وعبارة عن نفاية بدلاً من عتقه، فرّد عليه الرجل الإسرائيلي أنّه حّر في ماله يبيع منه ما يشاء حتى ولو كان للملك ،هذا ما جعل هذا الأخير يغضب منه وينزع الياقوت والدّر كاملا.[1]

وفي اليوم الموالي تتبع الإسرائيلي خطى الرجل الذي كلفهُ الملك عمرو بأخذ التّاج ليعلقهُ على البيت العتيق، فقتله وأخذ منه التّاج وهرب راكبًا نجيباً.

فأصبحت العرب تدري بقصة التّاج، فاختلط عليهم الأمر حتى أتى الخبر اليقين من بيت المقدس.

بلغ الخبر الملك عمرو فدعا إلى بني إسرائيل يأمر ملكهم فاران ابن يعقوب بردّ التّاج إليه، لكن هذا الأخير رفض على أنّه يعلقهُ على بيت المقدس .

فنشبت حرب دامية بينهم، أدّت إلى انتصار الملك عمروا بن مضاض الذي مضى إلى بيت المقدس، وهناك أذعنوا له بني إسرائيل بالطاعة وأتوه بالتّاج ليأخذهُ.

كانت هناك إمرأة جميلة تسمى برّة بنت شمعون لم يكن مثلها في وقتها من سبط يوسف بن يعقوب، فلما رآها الملك عمرو بن مضاض فُتن بها وتزوجها وكان ذلك مكيدةً من بني إسرائيل فلما خلا بها طلبت منه الرحيل عن قومها ولا يمسهم بضرّ وكان لها ما طلبت.

[1] ينظر ،فاروق خورشيد ،الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3،1982،1402،ص:108

سار الملك ومعه مائة رهينة من العيال والأولاد حتى نزل بموضع وهناك عمدت برّة إلى وضع السّم في فراش الملك لتقتلهُ وهربت ومعها مائة رجل رهائن.

لما بلغ الخبر أهل عمرو توجه الحارث الجرهمي مع جيشه وتابعوا خطى برة والرهائن عند تّل فاران, وهناك انتصر جرهم لكنه لم يقتل برة لكونها كانت تحمل غلاما سمته مضاض الذي كان يتصف بالجمال الفائق.

ومن هنا استولى الحارث الجرهمي على التابوت الذي كان به أخيه عمرو، لكن نشوة الانتصار كانت عكس ذلك مما جعل بني إسرائيل من أخذ التابوت وإلقائه في مزبلة من مزابل مدينة مكة بعد أنّ رفضوا ما طلب منهم.

هميسع بنت إسماعيل ابن إبراهيم ﷺ غير أنّ فطنة جرهم جعلته يتقدم ذات ليل إلى مكان التابوت فيرفعه في خفيه ويضع مكانه تابوتاً مزيفاً.

لكن اللعنة تحّل بإبادة جرهم ولم يبق منهم إلا القليل أمّا الحارث فيخرج إلى الصحراء هاربًا ليتوه بين رمالها[1] .

يرى الكاتب أنّ حكاية الحارث بن مضاض الجرهمي لها أهمية كبيرة في تاريخ القصة العربية كما لها أبعاد كبيرة فالحارث الذي تغرب ثلاثة مائة سنة يرمز إلى ضعف الإنسان البشري وإلى قوة القدر الغالبة لكل شيء ومن هنا ،تحتل قصة الضّياع أمام القوى الخارقة مكانا هامًا في الأساطير، فإنّ ضياع الحارث مرتبط ارتباطاً كبيرًا بضياع جرهم كلها، فإنّما هي تعليل أسطوري يكاد يحاول تفسير سر اختفاء جرهم وعملاق وفي ذلك يتهمهم بالمرتبة الأولى لا القدر.

فقصة الضياع نجدها في كثير من الراويات العربية مثل قصة سليمان الذي تخرج له الخيل خضراء من البحر فيعجبُ بها يتأملها حتى تُنسيه التسبيح.

– وعندما بلغ ذكر الصلاة والتسبيح، فأمر الخيل فردت عليه ساكنة. ثم سارت به الريح حتى وصل تدمر وكان لسليمان خاتماً به نور يضيء له بين السماء والأرض، فيزدحم عليه الطير يسقط الخاتم من

[1]– ينظر،فاروق خورشيد الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق،بيروت ،ط3،1982،1402ص: 109–110–111.

يده ،ومن هنا أراد الله سبحانه أنّ يبين لسليمان ومن معه أنّ الدنيا تزول وتندثر.كما أراد أنّ يبين له أنّه عندما سلبهُ الخاتم إنمّا هو دليل وعقاب على نسيانه للصلاة والتسبيح ،ومن هنا يرى الكاتب فاروق خورشيد أنّ هذه القصة تختلف عن قصة الحارث بن مضاض[1] فقصة سليمان هنا تدور حول الضياع ولكنها تحمل في طياتها دلالة الابتلاء من الله لسليمان فهي تشير إلى قدرته التي ليست فوقها قدرة أخرى وإنّما هي عظمة لا تعلوها عظمة[2].

أمّا بالنسبة لقصة قيس بن زهير الذي أحاط به العرب وبقبيلته من بني عبس، تريد العرب أنّ تأخذ بثأرها بني عبس نتيجة لما فعلهُ بهم عنترة قبل موته، فيهرب قيس ومعه نفر قليل يجول لصحراء تائهاً إلى أنّ يعود لبني عبس عرضهم ومجدهم بأولاد عنترة وفي طريق عودته يموت في صحراء .

ومن هنا يرى المؤلف فاروق خورشيد أنّ هذه القصة تحمل بدورها ضياعًا ولكنه ليس ضياعاً أمام قوة مجهولة وإنّما هو وليد الهزيمة والخيبة فهي بالتالي لعنة معروفة الأسباب

فالزمن أو القدر هو قوة مخيفة تلاحق الإنسان في كل أنماط حياته، فهو في صراع دائم معها، يجهل أسبابها فتجدهُ تارة يستسلم لقوانينها بعبادة مظاهرها وتارةً أخرى يلجأ إلى التساؤل عما تحمله في طياتها من غرائب مجهولة وأسباب عديدة، فهو بذلك يحاول أنّ يعرف أنّ يعرف مصيرهُ منها وبهذا عُرف العربي بالتشاؤم والتفاؤل والضرب بالقدح كما يضيف الكاتب أنّ هذه القصص المتداخلة المتشابكة إنّما تعطينا صورة واضحة عن فهم العرب للقصة[3]، وما يجب أنّ تحمل من دلائل ونتائج تفسر الحياة، فالمادة متوفرة والأحداث كثيرة وبالتالي الكشف عن السمات العامة التي تخصّ وتعني مرحلة التجميع فهذه القصص تأخذ مكانها الجزء الشمالي من الجزيرة تتناول أبطالاً من سكان مكة بالشمال علماً أنهّم ليس لهم تاريخ في القدم كما كانت هناك في الجنوب تعيش حضارة مزدهرة جعلت من شعوبها أنّ تكتب تاريخها ومجدها .

---

[1] ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط1982،1402،،3ص :113،112.

[2] ينظر، المصدر نفسه، ص:115 ،116.

[3] ينظر،المصدرنفسه،ص:118 ،118.

قصة ذي القرنين :

يرى الباحث فاروق خورشيد أنّ قصة ذي القرنين ، هي واحدة من قصص أهل الكهف الجنوب ، التي كتبها وهب بن منبه في كتابه التيجان ، فيقدم لنا أسطورة متكاملة ،يرويها على لسانه ، فالصعب ابن الحارث الرائش الحميدي هو ذو القرنين الذي تقدم من المفسرين ليؤكدوا أنّه لاسكندر المقدوني أو الرومي كما يسمونه.

يقول وهب ابن منبه :

كان الملك الصعب ذو القرنين متجبرًا ، يملك عرشا من ذهب صامت مرصع بالدّر والياقوت والزمرّد ،كان يلبس منسوجا من الذهب فبينما هو في ذلك المكان ، رأى مناما في أربعة أيام متتالية .

في اليوم الأول : كان الملك أتياً فأمسك بيده رجلا وسار به جبلا عظيما مخفيا لا يسلك فيه سائر ، فأشرف على جهنم وهي من تحته تزفروا أمواجها تلتطم ، وفيها قوم سود تأكلهم النيران من كل جانب ، وهنا تساءل الملك من هؤلاء ؟ فكان الجواب عنه ، أنهم الجبابرة كان عقابهم النار ، فمن تواضع لله ، يعطيه عزّاً عظيماً من عزّه ، وهيبة ، فأيهما تختار ياذا القرنين .

من هنا أمر الملك الصعب الناس ، محدثا إياهم ، بان يأخذوا ما طاب لهم ، فان الله الجّبار يبغض الجبارين [1]

وفي اليوم الثاني :

رأى الملك الصعب ، كأنه نصب له سلم ، فركب عليه ، حتى بلغ السماء ثم أخذ بيده اليمنى الشمس ، وأخذ بيده اليسرى القمر ، وسار بهما بعد ذلك نزل إلى الأرض وهو يمشي والنجوم تتبعه وهنا خرج تائهاً لا يدري ما هو فيه ، فاستنكر الناس له .

وفي الليلة الثالثة :

[1] ينظر : فاروق خورشيد ،(الرواية العربية ،(عصر التجميع)، دار الشروق ، ط3 ، 1982 ،1402، ص:120.

رأى الملك أنه جاع جوعا شديدا لكن الأرض صارت له غذاء ، فأقبل يأكلها ويأكل ثمارها ، ثم عطش وأقبل على السفينة أبحر يشرب ماءها ، فلما أفاق من نومه ، أصبح هائما يظهر يوما ويحتجب يوما أخر .

وفي الليلة الرابعة :

رأى كأنّ الإنس والجّن أتوه من المرض ، كما أتى الوحوش وجلسوا بين يديه ، كما أقبلت عليه الطير والهوام كلها حتى أظلته ، ثم أتت الرياح واستدارت فوقه ، فأمرها بأن تأخذ البهائم والأنعام والوحوش ، وحبس سباعها تحت قدميه ، فلما أصبح غلب عليه هول ما رأى في الرؤيا الأولى والثانية والثالثة والرابعة ، فبعث لوزرائه ، يطلب تفسيراً لرؤياه ، لكنهم جهلوا وأدهشتهم الرؤيا[1]

قال وهب ابن منبه في اليوم الموالي ذهب إلى بني من بيت المقدس بحثاً عن تفسير ما رأى ، وكان اسمه موسى الخضر ، فقال له :

فأما جّهنم فهي إنذار لك فانتبه ، وأما طلوعك إلى السماء فهو علم من عند الله وأما الشمس والقمر والنجوم ، فإنه لن يبقى معك في الأرض ملك إلا خلعته وأما الأرض فلا يبقى منها شيء ، فإنما تصبح ملك لك .

وأما السبعة أبحر فإنك تركبها وتملك جزائرها ، وأما الإنس والجّن فإنك تنقلهم من مكان إلى أخر وكأنك تحول أهل المغرب إلى المشرق ،ويمضي ذو القرنين إلى مغرب الشمس ومعه الخضر يقتل وينقل الناس من ارض إلى أخرى ، ويرى قوما بكما لا ينطقون وقوما زرق الأعين ثم قوما أذانهم كأذان الجمال ، وهو بذلك عند كل قوم يقتل من كفر ويعفو على من آمن .

وتمضي الرحلة حتى يبلغ الظلمة ، فصار ليله ونهاره واحد ثم انتهى إلى الصخرة البيضاء حتى مات رسول إبراهيم عليه السلام .

فمضى الصعب حتى انتهى إلى رأس الصخرة فأصاب عينا ينزل بها ماء فشرب منه وتطّهر .

[1] ينظر : فاروق خورشيد ،الرواية العربية ، (عصر التجميع) ، دار الشروق ، ط3 ، 1982 ، 1402، ص:121، 122 ، 123. .

ظّل ذو القرنين في مكانه إلى أنّ أتته رؤيا أخرى ، أثناء نومه في اتجاه نحو مشارق الأرض ، بينما عبر الخضر البرزخ وسار إلى الشام وسار ذو القرنين حتى بلغ المحيط ، فأصاب أمماً جملهم على الإيمان ثم دخل أرض يأجوج ومأجوج وغلب على الأرض السماء ، فافتتحها فوجد عندها قوما صغار الأعين ، لا يظهرون إلاّ في الليل ، فأصاب بها قوما من يأجوج ومأجوج وهم قوم سود

ركب الملك الصعب البحر وترك عساكره كلّها ومضى ، حتى وصل إلى دار مفردة وعلى بابها رجل أبيض كالملاك ، حيث طلب منه التوقف عن طلبه ، وقد أعطاه الملاك عنقودا من عنب وأمره بأكله وفيه عبرة من ذلك .

بلغ الملك ارض العمار ومدّ يده يأخذ قبضة من تراب فجعلها في الكفة وجعل الحجر في الكفة الثانية ، لكن التراب رجح عنها وخف الحجر فقال له الخضر ، إن العبرة من ذلك أنّه مهما أكل منها ومهما أكل جنده منها فهذه عينك لا تملؤها إلاّ التراب .

وبني ذو القرنين سدّا بين الناس وبين يأجوج ومأجوج وهو يقتل الكافرين ثم سار يريد الحج بمكة ، فلما بلغ رمل العراق مات في هذا المكان ثم غاب الخضر ولم يظهر أحدا بعده إلا موسى ابن عمران النبي "[1].

دراسة القصة :

" يرى الباحث فاروق خورشيد أنّ قصة ذي القرنين التي نقلت عن وهب ابن منبه تحكي لنا عظمة الإنسان وتبين قوته فهذا الملك رغم قوته التي استمدها من كل مظاهر القوة ومن الغيب فهي لا تنفعه في دنياه ، وإنّ مصيره التراب والفناء كغيره من البشر فهي قصة تبرز عجز الإنسان وقصوره ، كما تبرز المصير المحتوم عليه ، الذي لا يستطيع الهروب منه ، فهذا المصير هو طبيعته الإنسانية التي هي التراب منها خلق واليها يعود .

كما أنّ منزلته لا يمكن أنّ تصل إلى منزلة الأنبياء ولا يمكن أنّ تساوي إلى منزلة الملائكة الخالدين .

[1] ينظر ،فاروق خورشيد،الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط1982،1402،3 ،ص:126،127 .

فالإنسان عاجزا لا يمكن التغلب على تصوره ، ومن هنا هذه القصة تشبهه في نهايتها قصة لقمان ابن عاد الذي كان متواضعا يدعوا الله قبل كل صلاة يسأله عمرا فوق عمر ، فأجابه الله باختيار سبع بقرات أو سبع نوايات ، وإنّ شاء سبعة أنسر ، فلقمان قضى حياته ينشر الحكمة ويحقق العدل حتى مات .

فالواقع أنّ القاصّ العربي يحاول دفع القارئ إلى الوقوف عند المواقف الدراسية التي توضح قدرة الإنسان من جهة ومن جهة أخرى قصوره وعجزه في نفس الوقت وكأنّك تصل إلى المضمون والمعنى المراد من خلال القصد المباشر لا ليس فيه [1].

" كما يتضح الموقف الدرامي في عديد من القصص والأساطير العربية فالإنسان عاجز مهما امتدت له أسباب القوة وضعيف مهما سخرت له الطبيعة.

فحينما يتقدم الزمن ، وتمضي الأيام على جمع هذه القصص في كتاب التيجان قرون فانك تكتشف قصة سيف ابن ذي يزن التي تكاد تحمل نفس المضمون ، لما تحتويه من مواقف درامية بل إنّ سيف بن ذي يزن يلقى في القصة الكثير من الصعاب والمشاكل لكن القدرة الإلهية تسخر له الخضر وغيره من المؤمنين المخلدين فيمدونه بالمساعدة وينجونه من المخاطر والمأزق وكانت رحلته ما كانت وكأنّ حربه ما قامت وكأنّ كفاحه ما وجد ، وهذه الدراسة للبطل الأسطوري كفيلة بإبراز لنا ملامح فن القصة العربية ، وملامح مؤلفيها وأصولها الفنية كما أنّه لو درست بنفس الكيفية شخصية عنترة الشاعر العربي المعروف صاحب المعلقات دراسته مقارنة بشخصية عنترة بطل السيرة الشعبية المعروفة باسمه ، فهي توحي وتشير إلى إبراز فّن الرواية أو السيرة الشعبية [2]

[1] ينظر،فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق ،بيروت،ط3،1982،1402،ص:129،128.

[2] ينظر ، المصدر نفسه ، ص :130،131،132.

كتاب من كتب :

يعتبر صاحب الكتاب فاروق خورشيد أنّ بعض القصص التي جمعها وهب ابن منبه في كتابه تشير إلى الدلالات النفسية ، التي تهدف إلى إبراز هذه القصص .

فالعرب عرفوا فن القصة ، ولم يقفوا به عند حد الرواية الشيقة الممتعة ، التي تروي أمثالا وأحكاما فيها قيمة وموضوعا شيقا وحسب –وإنمّا هم عرفوا القصص للكشف عن جوهر النفس الإنسانية الحقيقية .[1]

وكتاب التيجان ، يعد من الكتب القلائل التي وصلتنا لتمثل هذا العصر ،ذلك أنه توجد ثروة طائلة من القصص ، فالحديث عن الكتاب يجعله بالمقام الأول في اعتقاده ، أنّه قد أضاع الكثير من هذا الفن .ذلك أن الكتاب قد آخذو الشواهد من شعر وخطب وأهملوا القالب القصصي الذي جاءت في سياقه.

فهذه الكتب تعد بمثابة انتحال دون العناية الحقيقية بمحتواها وبالقضايا الأصلية .والقصص التي لها علاقة بالتراث العربي[2].

وكتاب التيجان قد ألف مرتين حسب اعتقاده فالأولى حين رواه وهب ابن منبه ، والثانية حين كتبه أبو مُحَمَّد عبد الملك ابن هشام راوي سيرة ابن إسحاق .

فالتأليف هو الجمع والترتيب والصياغة ، وكان ذلك أما عن طريق الرواية أو القراءة ، فنرى هذه القصص موجودة في قالب مختصر إذا رجعنا لأصلها وحجمها [3].

يبدأ وهب فن منبه قصصه منذ أن خلق الله الكون ، وخلق الحيوانات والسماء ، والملائكة والنجوم والنار ، ثم خلق الأزمنة وقسمها على الأرض ، ثم تمضي لتصل إلى خلق أدم .

---

[1] ينظر ، فاروق خورشيد ، الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3 ،1982،1402، ص: 135.

[2] ينظر ، المصدر السابق ، ص:136.

[3] ينظر ، المصدر نفسه ، ص: 137.

فكتاب التيجان ، يقف وقفة الفنان الذي يحسن اختيار المواقف التي تبرز فيها القيم و المعاني الإنسانية وحين يصل من كتابه إلى صفحة 51 يبدأ بالحكي عن سير ملوك حمير [1]

فوهب من منبه يتخذ من بعض معاصريه الرواة كمرجع في أجزاء كبيرة من قصصه .حين يربط الزمن بالعصور الإسلامية ، كما يرجع إلى كتب الأخبار في رواية عن سليمان ابن عبد الملك ابن مروان – كما أنّه لا يذكرهم كبعض الأحيان كقوله في قصة ذي القرنين .

" رفع الحديث إلى أمير المؤمنين –علي ابن طالب –كرم الله وجهه –أنّه قال ، حدثوا عن حمير فان في أحاديثها عبرا "[2].

فالجدير بالذكر أن مصادر وهب ابن منبه ، هي القراءة والرواية معا ، فالرواية تعني في اغلب الأحيان بالحدث ذاته ، تخرج بدلالة سطحية أما الكتابة فتخرج بدلالات أكثر عمقا وأكثر خطرا

فالقصة العربية تحتوي على دلالات عميقة دونت في هذا العصر أي التجميع ، غير أن الأصل في قصص وهب ابن منبه هي روايات عن ملوك من اليمن [3].

والتي كانت لهم أهمية في حياة الشعوب قبل ما تعرفه عن تاريخ العرب .

فالدكتور يحي الخشاب يقص في كتابه ، حكايات فارسية في القصة المعنونة –العلم الإيراني –التي تثبت أن أساطير الفرس تثبت أن الحضارة العريقة كانت لمولك حمير ، إلى جواز ذلك .كانت تتمتع بلادهم بالرخاء والأمن والعدالة .كما أن القصة العربية ، حين يفقد سليمان الخاتم ، عندما ينتهي ذكره لله فهي شبيهة بمثلها القصة الفارسية ، عندما يفقد جمشيد الخاتم بحيلة الملك البحر (صخر) الذي يسرقه من الأمنية عليه.

فهذا الارتباط بين القصة العربية والقصة الفارسية ، يشير إلى أن الأصل هو القصة العربية والصورة هي القصة الفارسية .

---

[1] ينظر ، فاروق خورشيد ، الرواية العربية (عصر التجميع) ،دار الشروق،بيروت،ط3 ،1982،1402ص: 138 .

[2] ينظر ، المصدر نفسه ،ص: 139.

[3] ينظر ، المصدر نفسه ، ص: 140. 141.

فالفرس عرفوا هذه الأساطير عن ملوك حمير ، فنقلوا منها ما زادوا به من قصصهم .كما أن القصة سليمان التي نقلها العرب عن الفرس لا تحل محل النقاش .

كون القصة العربية خالية من كل سمات الاتصال بالفرس .

بيد أن هناك افتراض أسلم به عل الباحثين ، والمتمثل وان الأساطير الفارسية عثر عليها واستعملها الباحثون حين وجدوا فيها سمات تتشابه مع ما للعرب بعد الإسلام [1].

ولكن هل الأساطير العربية هي امتداد ولما عرفوه من أساطير قبل الإسلام .

فوهب ابن منبه يرتكز على أصل أسطوري ، فكان يروي ما تناقله أهل اليمن عن ملوكهم من حكايات .وبذلك يحاول وهب ابن منبه الربط بين ما يحكى عن قصص وتواريخ وبين ما دخل معارف العرب عن طريق الإسلام .

وكأنما يريد أنّ يلائم بين ما يرويه وبين ما جاء به القران فنجده يستشهد بالقران وكان ذلك مثلا في قصة عاد وثمود كما تشير حكايات إلى ما تحتويه الجزيرة من كنوز وقبور مختفية بالآثار.

فالواقع أنّ قصص وهب ابن منبه تحاول الربط مرة والبرهان العقلي مرة أخرى وذلك بالاستشهاد والاستناد للحديث عن شخصية مرموقة ، كالنبي كما تلمح حكايات وهب ابن منبه اتصالاً بكل شعوب الأرض كالهند والصين والترك وسكان الجزائر .

فهذا الاتصال حدث بعد فترة طويلة من ظهور الإسلام ، هذا هو الجزء الذي رواه وهب ابن منبه بيد أن ابن هشام فيخرج عن سياق القصة فيعتمد على روايات ومصادر متعددة منها مُحَمَّد ابن إسحاق ، والهمذاين [2].

كما يحكي عن حكاية له عن حوار دار بين وهب ابن منبه وعبد الله ابن العباسي وكعب الأخبار عن ذي القرنين .

---

[1] ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط1982،1402،3 ،ص: 142. 142.

[2] ينظر ، المصدر نفسه ، ص : 144.

فابن هشام يفرض شخصية على الكتاب لإضافة قضية أخرى .إلاّ أنّه يبعد القول عن العصور المتأخرة التي تقترب من الإسلام .

أنّ معرفة وهب ابن منبه باللغة العبرية أو الفارسية ، فهي تشير إلى معرفته باللغة الحميرية والارامية .وهذا دليل على قراءته لعديد من الكتب ، كما كان له كتاب أسمه كتاب العباد ، وينسب إليه آخرون كتابا بعنوان الإسرائليات.

فهذه الكتب وصلت إلينا في صفحات متفردة في كتاب المغازي فكل الكتب ألقت الضوء على الأساطير العربية التي لم يتسع لها كتاب التيجان .والذي لم يكن معروفا .بالنسبة لبعض الكتاب ، فحتى الآن لم يصلنا إلا القليل الذي يعتبر كإشارة لا تقبل الشك ، في ذلك التراث الحي الذي تبلور في عصر التجميع [1]

[1] ينظر ، فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3، 1982،1402ص:143 .

كتاب أخبار ملوك اليمن:

"القصد من هذا الكتاب الذي أحبّ أن أعرضه عليك كنموذج يمثل التيار الثاني في عصر التجميع ليس الحكاية في ذاتها، كما أن القصد منه كذلك ليس إيفاء القصة حقها من حيث دلالتها الإنسانية، وإنما القصد من هذا الكتاب شيء آخر...، يمكننا أنّ نسميه العضة والعبرة، ويمكننا أن نسميه التربية والتهذيب واللذين تعتمد عليهما القصة ويقول فاروق خورشيد أنّ للقصص مدلول معينا تفهمه به الدولة ويفهمه به الناس فهو يرى أن القصص أداة دينية من أدوات التوجيه والوعظ، والقصص أداة تفسيرية لشرح ما غمض فهمه عن طريق الحكاية والرواية، وقد حملت كتب الآداب أسماء القصاصين في كل بلد إسلامي فنرى يقول فاروق خورشيد أن أسماء الحسن البصري وسعيد بن الحسن والأسود بن سريع ومسلم ابن جندب، بل نرى من سمات أصحاب الفضل أنّ يعرفوا القصص فيقول الجاحظ في بيانه وتبيينه أنّ أبا بكر الهذلي في منتصف القرن الأول كان خطيبا قاصًا عالما بالأخبار والآثار فهذا النوع من القصص إذن يتعرض لحكايات الأمم السالفة ولا لقيمة هذه الحكايات".[1]

في حدّ ذاتها، وإنمّا أهميتها فيما لها من قيمة في تثبيت المعاني الجديدة ولما لها من قيمة في تأكيد دلالات القصص القرآني والخلق القرآني، وعبيد يقول في أول كتابه مخاطبًا معاوية: "يا أمير المؤمنين، لك في غير هذا الحديث ما يقصر ليلك وتلذ به في نهارك، فإن ما تهوى ومالا تهوى، ومغضبة للملوك ونعش مودة" فهذا الاحتراس من عبيدة معناه أنه يعلم أن في دلالات قصصه ما قد يزعج ملكًا عريض الملك قوي السلطان، من تذكرة بنهاية الطغاة، ونهي عن الإسراف في المتعة وما شابه ذلك... فالمقصود من القصص كما قلنا عظة إسلامية"[2] وما نلمسه في كتاب أخبار ملوك اليمن الذي تناوله فاروق خورشيد في كتابه الرواية العربية عصر التجميع أنه احتوى على قصص في شكل حوار بين اثنين يتخلله الوعظ والنصح والإرشاد ويدخل في هذا ما يتعلق بثقافة القاصّ وطريقته في سرد

[1]– ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، ط3، 1402هـ، 1982م، ص : 147.146

[2]– ينظر،المصدر نفسه ، ص: 156–157.

القصص فنجد في كتاب أخبار ملوك اليمن الحوار يدور بين عبيدة وأمير المؤمنين معاوية حول قصص القرآن الكريم، وما تحمله من عيضٍ وعبرٍ ودلالات إنسانية وتربية وتهذيب للنفس، فقد جاء في هذا الكتاب أن عبيدة صاحب حجة وبرهان وهدف ورسالة في سرد القصة ويتصل بهذا اتصالاً مباشرًا طريقته في سرد القصص، فهو يعتمد اعتمادًا أساسيا على آيات الذكر الحكيم، بل يبلغ به الأمر حدّ اقتباس الآيات وإيرادها في معرض حديثه لتكمل السرد.. فنرى في حكايته عن عاد حديثا يسوقه على لسان جارية يقال لها مهد، ناحت بعد هلاكهم، تقول حكاية عبيدة "ويقال يا معاوية أنّها أول نائحة ناحت في الأرض، فقال لها قومها ويحك ماذا ترين وماذا دهاك؟ قالت: الويل لعاد التي طغت في البلاد فأكثروا فيها الفساد." وتتضح هذه الظاهرة في قصة بلقيس وسليمان، كما تتضح في قصة ثمود ونبيهم صالح، إذا تكاد تكون تفسيرًا للقصص القرآني، بل إن هذه القصة بالذات تسير في سردها مع آيات القرآن الكريم خطوة بخطوة.

ويدخل في هذا أيضا موقف عبيد من شخوص قصصه وحوادثها فالناس عنده قسمان: مسلمون وكفار، وكل من آمن بالله منذ فجر التاريخ فهو مسلم وكل ما خالف هذا الإيمان فهو كافر، فالقصص إذن عمل وعظي يعطينا صورة واضحة عن معنى القصص الديني الذي انتشر في هذه المرحلة انتشارًا كبيرًا ورعته الدولة وشجعتهُ.

وثمة ظاهرة مهمة تلفت النظر في هذا الكتاب الذي هو عبارة عن مسامرات في مجالس معاوية هي أن معاوية لا يقف وقفة المتفرج أو المستمع إنما هو يناقش ويسأل ويطالب بين والحين والحين بالبرهان والدليل..."[1]

"فحينما يذكر عبيد عن عاد وما أصابهم فحط ثم يقول" وأجمعوا على المسير ‘لى بيت الله الحرام يستسقون العيث" يقول معاوية مجادلاً: "لله انت يا عبيد وكيف كانوا يطمعون أن الله يستجيب

[1]– ينظر، فاروق خورشيد ،الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق ،بيروت،ط3،1982،1402، ص 156 ،157 ،158.

لهم وهم مقيمون على الشرك بالله وعبادة الأصنام" ويرد عبيدة قائلا: كان الناس في ذلك الزمان العرب وغيرهم من المشركين إذا نزل بهم فادحة أو نابهم خائبة أو أجهدهم قحط أو غيره فزعوا إلى الله فيأتوا إلى البلد الحرام يطلبون من الله الفرج فيعطون مسائلهم ويعرفون من الله الاستجابة عند بيته الحرام ...الخ".

وسمة الحوار تغلب على أجزاء كثيرة من الكتاب ولكنه حوار إنساني فمعاوية إذن لديه علم ما يقول عبيد سمعه من غيره من قبل. فهو حين يناقش إنّما يعترض على بعض ما يخالف ما سبق له أن عرف من روايات الرواة الآخرين. ونرى أن الدكتور حسين نصار قد استنتج أن الكتاب لم يكن مجالس حقيقة وإنما مؤلف على صورة مجالس إذ يخرج الدكتور نصار بأنّ الكتاب من جمع ابن هشام وأنّه عمل فيه ما عمل في سيرة ابن إسحاق... كما نرد به على ما ذهب إليه الأستاذ كرنكو من أن عبيدًا شخص خيالي ولا وجود له، وأن الكتاب من تأليف ابن هشام أو البرقي أو مُحَمَّد ابن إسحاق مكملاً به المؤلف ما ينقص كتاب وهب بن منبه من أخبار،ونلاحظ أن هناك اختلاف بين الكتابين، فبينما وهب يتقصى قصصه بهدف إبرازها وتوضيح ما تحمله من مضامين إنسانية عامة، متتبعًا التسلسل التاريخي، نرى عبيدًا يقصد قصدًا إلى العظة والعبرة ويحتذي القرآن الكريم خطوة بخطوة، ويعني بالدلالات الإسلامية دون غيرها، فالهدف مختلف في الكتابين بل إنّكلا منهما يمثل اتجاها بذاته من اتجاهات عصر التجميع.[1]

[1]– ينظر، فاروق خورشيد،الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط1982،1402، 3 ،ص:159،158،157

.

الملاحم الشعرية:

لعل البعض يعتبر أنّ الحديث عن الملاحم العربية في مثل هذا البحث الذي نتناول فيه الرواية فضولاً واستطرادًا... ولكن الحقيقة أنّ الحديث عن هذا الشعر الذي يسرد أحداثًا قصصية ويكاد يقترب بشيء من المعالجة والجمع والتوفيق من الشكل الملحمي، حديث مهم في بحث الرواية العربية بصفة خاصة...، فالظاهرة الأساسية التي تلفت نظر الدارس في هذا الروايات أن الشعر يرد على لسان جميع الأبطال بلا استثناء سواء كان هؤلاء الأبطال ممن يقولون الشعر،أو ممن يمكن أن يقولوا الشعر، فوهب بن منبه في كتابه التيجان يروي شعراً على لسان آدم قاله في رثاء إبنه هابيل حين قتله أخوه قابيل يقول فيه.

أيا هابيل يا ثمر الفؤاد أبعد العين مسكنك الضريح

ويدخل وهب في جدال حول هذا الشعر وكأنّما يحاول أن يثبت صحة نسبته إلى آدم فيقول: قال «جبير بن مطعم هذه القصيدة ليست لآدم، هي منحولة... وقال ابن عباس: تكلم آدم بجميع الألسن التي نطق بها بنوهُ من بعده من عربي وعجمي، وهذه الأسماء لم تعلمها الملائكة». وهذه المحاولة الساذجة تثبت أهمية الشعر عند هذا الراوي الكبير الذي تراه في كتابه كله بعد ذلك لا يكاد يذكر حادثة إلا ويورد على لسانه الشعر، فنظرة الرواة إلى الشعر تحدد ماله من أهمية عندهم وعند الشعب العربي الذي يتلقى ما يروونه من قصص، فهم لا يتصورون حادثة تقع في حياة كبيرة أو صغيرة دون أن يقال فيها شعر لأن الشعر –كما يقول معاوية– ديوان العرب والدليل على أحاديثها وأفعالها–، وليس معنى هذا أن كل العرب شعراء، ولا أنّهم كلهم يقولون الشعر... وإنما رهم على مرّ العصور ، إلا أنّ أمر الشعر في كتب الأخبار ينقسم إلى قسمين: الأول هو ذلك الذي يرد على لسان أبطال الحادثة أنفسهم، أو على لسان معاصرين لها كالشعر الذي يرد لسان آدم وهود وطسم وتبع...وهذا القسم لا شكّ مؤلف وموضوع ... والثاني شعر ينسب الى شعراء معروفين كالعباس ابن

مرداس وأعشى بني وائل ، وحسان ابن ثابت وامرئ ألقيس والنابغة الذبياني وتأبط شراً وغيرهم وهذه الإشعار بعضها موجود بالفعل في دواوين هؤلاء الشعراء.. .

والنوع الثاني من هذا الشعر كان يعني عند المتلقين صدق الخبر وصحة القصة، ولكنه يعني عندنا وجود القصة نفسها في أساطير العرب، وانتشارها وتداولها بين العرب كجزء من تاريخهم وحكاياتهم"[1] إذ بات من صعب وجود شعر مطلق كما أنّ الرواية ذاتها أصبحت فناً غير خالص تمامًا، فهي لا تكتفي بخصالها النثرية حين تسعى إلى تنمية متنها الحائي بل تلامس وهج الشعر وتفترض بعضا من شمائله[2]

والواقع أنّ هذا الشعر لم يدخل هذه القصص عبثًا، وإنّما كان دخوله فيها أساسياً وجوهريًا... فهو أولاً يكون عمودًا فقرياً في كل قصة، ترتكز عليه الأحداث وتدور حوله... والشعر كتعبير قولي منغوم أسهل حفظًا وأقرب إلى اللصوق بالنفس من الحديث النثري المرسل والشعر ثانيًا يدخل مكملاً للحوار، بل يدخل في بعض الأحيان أساسًا في الحوار، وفي المشاهدة التي يقف فيها القاصّ عند حوار يسرده في إطناب فلا بد أم تلمح عادة مساجلة شعرية تدور بين أطراف هذا الحوار، أما في المعارك الحربية فأنت تجد هذه الظاهرة أوضح ما تكون في سيرة عنترة بن شداد، فما يكاد عنترة يتعرض لأحد الفرسان حتى يبادر مفاخرًا مباهيًا، ويرد عليه غريمه في الحال بشعر من نفس البحر والقافية معارضًا إياه ومفاخرًا بنفسه وقبيلته وأهله..، ولا تعفى سيرة عنترة حتى خصومه من الفرس والروم من هذه المساجلة الشعرية التي تسبق كل إلتحام بالسيف، والواقع أنّ هذه المساجلات التي تدخل في الحوار القصصي كثيرًا تكاد تكون أقرب الصور التي عرفها العرب إلى الأعمال المسرحية، فالمشهد القصصي يقف تماماً من ناحية السرد بينما يغلب الشعر الحواري هنا على كل معالم القصة،

---

[1]– ينظر ،فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، ط3، 1402هـ، 1982م، ص :162، 163، 164 ، 165

[2]– محمد عبد الحليم غنيم، رسالة دكتوراة حول: الفن القصصي عند فاروق خورشيد: دارسة نقدية، جامعة المنصورة –كلية الأداب – قسم اللغة العربية– 2001، ص: 15.

ولعلنا نستطيع أن نقول أنّ استعمال الشعر في الحوار هنا له دلالته الفنية في تصوير الصراع وتجسيده، ومن أبرز المعالم النفسية التي يقوم عليها هذا الصراع، فالحاجة إلى الشعر هنا ليس فضولاً وإنّما هي حاجة فنية تعين المؤلف في تجسيد المشهد وتجسيمه، وفي إبراز الدلالات التي تحيط به من كل نواحيه[1].

ولجوء القاصّ إلى الشعر هنا أمر لا مفرّ منه إن أراد انّ يكون صادقًا صدقًا فنيًا في تصوير أبطال قصته.. وهو يرسم موقف مضاض وميبنفس الطريقة، ويورد على لسانه شعرًا عذبًا رقيقًا معذبا إذا يقول:

سألتك بالرحمن لا تجمعى هوى

عليه وهجرانًا وحبك جاره

فان لم يكن وصل فلفظ مكانه

إليه إلا موطن الموت داره

الشعر هنا –كما ترى ليس فضولاً، وإنما هو تغير في وسيلة التعبير اقتضاهُ الموفق واضطرت إليه الأمانة، فاستعانة القاصّ بالشعر هنا ليس فضولاً ولاحلية، وإنّما هو لجوء إلى أقرب الأدوات إلى التعبير عما في داخل النفوس، ويتتبع بواسطة الشعر ما نسميه نحن في النقد الحديث بالحركة الداخلية لنفوس الأبطال... فالشعر في هذه الحالة يكمل الصورة ويعطيها عمقاً ويرسم ظلالها وألوانها، ويخرج القصة من مجرد كونها سرداً جامدًا تاريخيًا لأحداث أسطورية ذات دلالة معينة لا تتضح إلا في النهاية. ولعلنا الآن قد وضعنا أيدينا على سر هذه الظاهرة التي تلفت النظر إلى القصص العربي أعني ظاهرة ورود الشعر فيه بكثرة وحتيمة.

[1]- ينظر، فاروق خورشيد،الرواية العربية،(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط1982،1402،3،ص : 166، 167، 168 ، 169.

كتب السيرة النبوية

تكون كتب السيرة العنصر الثالث في العناصر المكونة لهذا العصر الذي نسميه بعصر التجميع في الرواية العربية... فبينما نرى كتباً تذهب إلى جمع الأساطير والروايات العربية كجزء من التراث الأسطوري والفني العربي ودون أن تعني عناية حقيقة بتطويع القصة أو الأسطورة لمضمون دون آخر ممثلة في كتاب التيجان لوهب بن منبه... نرى كتباً تذهب إلى جمع الأساطير والروايات قاصدة بهذا الجمع إثبات المضمون الإسلامي، ومستعينة بالقصة لتثبيت المعاني الجديدة التي جاء بها الإسلام، ونحن حين نضم السيرة إلى الأعمال القصصية إنّما نستند إلى طبيعة هذه الكتب ومنهجها كما نستند إلى تاريخها وتطورها ... فالعرب قبل بعثة الرسول ﷺ لم تكن لهم من مادة للتاريخ الأسطوري والقصص إلا ما كان شائعاً بينهم من أخبار ملوكهم وأجدادهم الأولين، إلاّ أن هذا كله مهما حاول القصاصون والمؤرخون أن ينقوه من سمات الجاهلية فلا شكّ أنّه ظلّ بجمل في طياته روائح المعتقدات الجاهلية والتقاليد الجاهلية... ولذلك لم يكن من العجيب أن يتّجه القصاصون المسلمون بجهدهم الفني إلى المورد الجديد الذي أتاحتهُ لهم دعوة مُحَمَّد ﷺ، وما روى الصحابة التابعون من أحاديث عن ولادته ﷺ وعن حياته وكفاحه وما حفلت به هذه الحياة من حركة وجهاد واصطدام بأهل الشرك.[1]

"واهتم النبي ﷺ بالكتابة وأمر المسلمين بها وليس أدّل على ذلك من تشجيعه الصحابة تعلم لغة اليهود لأمن مكرهم، وقد كان للنّبي ﷺ كُتاب كثيرون مهمتهم كتابة الوحي وكتابة الرسائل النبوية للأمم المجاورة ملوك فارس والروم ومصر والحبشة وملوك حمير وهمدان وبني كلب وغيرهم دعوة للإسلام، وشملت الكتابة في عصر صدر الإسلام مجالات جديدة لم يكن يعرفها العرب قبل الإسلام كالمعاملات والبيوع والعقود السياسية والعهود والمواثيق وكل ما من شأنه تنظيم أمور المسلمين عملاً كما أصبحت الكتابة جزءًا من أعمال الدولة الأساسية لدى الخلفاء الراشدين في الدواوين سواءً في

[1] ينظر،فاروق خورشيد ، الرواية العربية (عصر التجميع)دار الشروق،بيروت،ط1982،1402،3،ص: 175

2 – ينظر، المصدر نفسه، ص:177، 178.

العلاقات السياسية أو الاقتصادية بين المسلمين وبين غيرهم من أهل الذمة والخراج وقسمة الغنائم وغيرها.[1]

إلاّ أنّ الظاهرة الأساسية في تدوين كتب السيرة أنّ معظم القائمين عليها كانوا من المحدثين كعروة ابن الزبير بن العوام الذي جاء مادونه على هيئة رسائل إلى عبد الملك بن مروان جاءت بعضها عن طريق ابن اسحق والواقدى والطبرى ويقول عنها الدكتور نصار أنها تمثل أقدم المدونات التي وصلت إلينا عن بعض الحوادث الخاصة في حياة النبي ﷺ ولم يعن عروة بجمع الأخبار عن حياة الرسول ﷺ فحسب بل عنى أيضا بحوادث الخلفاء الأوليين فتراه يعالج وقعة القادسية واليرموك وبعض حوادث فتوح الشام"[2]

"والمعروف أنّ الحديث لم يدون في عهد النبي ﷺ كما دون القرآن، بل لقد جاء في الأحاديث نفسها ما ينهي عن تدوين الحديث منها ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قال النبي ﷺ: "لا تكتبوا عني، ومن يكتب عني غير القرآن فليمحهُ وحدثوا عني فلا حرج، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعدهُ من النار." وهكذا نرى القرن الأول يمضي بأجمعه وليس هناك كتاب يجمع آثار الرسول ﷺ ويقدمها للناس، ومع هذا الحظر على كتابة الأحاديث وتدوينها نشأ هذا الاتجاه إلى التدوين التأريخي الغاية، القصصي القالب الذي اتجه إليه الكثيرون ولعلهم وجدوا في تدوين ما يتعلق بالنّبي وحياته وغزواته ما يحقق ما في نفوسهم ونفوس المتلقين لما يكتبون من تعلق بالرسول ﷺ وحبّ لتخليد آثاره، ولذلك لم يكن عجيبًا أن يكون من أول المتصدين لكتابة السيرة أناس ممن اشتهروا بكتب القصص و الأساطير كوهب ابن منبه الذي كتب في المغازي كتابًا حفظ حلية الأدباء قطعتين منه، واحد تتناول فتح مكة والثانية وفاة النبي، ويقول الدكتور حسين نصار في كتاب نشأة التدوين

[1]– نسرين ظاهر ملك ، النثر الجاهلي والإسلامي والأموي: دراسة تحليلة، إيكتا اسلاميكا: المجلد2، العدد 1 يناير، 2014، ص: 116–117.

[2]– ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، ط3، 1402هـ، 1982م، ص:179، 180.

التاريخي أن هذه القطعة تتناول تاريخ العقبة الكبرى واجتماع قريش في دار الندوة والهجرة وغزوة بني خيثم "مما يدلنا على أن وهبًا تناول الفترة المكية والمدنية من حياة الرسول ﷺ."

فالسبب إذن هو ما حاول به الكتاب أن يسدوا من ثغرة يحسونها إذا يمنعون عن رواية الحديث فلجأ إلى تدوين أحداث السيرة معتمدين على ما شهدوا وحفظوا من أحداث حياة الرسول وكانوا يعتمدون على النهج القصصي في التأليف وهو النهج الذي تعودوه وهذا المنهج يحدد مكان قصص السيرة من أنواع القصص في عصر التجميع هذا، وكتب السيرة هذه نلمح فيها جميعًا ظاهرة هامة وهي الاهتمام بالمغازى... بل إنّ الاسم الذي عُرف لهذه الكتب في أول الأمر هو اسم المغازي، ومعنى هذا أنّهم يتبعون حياة الرسول خلال المعارك التي خاضها والواقع أن كل كتب السيرة حتى التي تتناول من حياة الرسول أكثر من قطاع وفقت كلها عند المغازي وفقه طويلة، وتاريخ العرب القديم سلسلة من المعارك والغزوات، فكان من الطبيعي أن يلتفت العرب في تاريخهم الحديث إلى الغزوات والمعارك، والسيرة النبوية بهذا اتفق كمرحلة انتقال بين الشكل القصصي الذي عرفه العرب قبل الإسلام وبين شكلها الذي تطور فيها بعد إلى القصص العربي الإسلامي فكأن السيرة كانت قمة للأعمال القصصية قبل الإسلام، وتبلورت فيها كل مميزات القصة العربية لتغدو بعد هذا مصدرًا للفن القصصي عند العرب، وكما أثرت السيرة في القصة العربية من بعد فكذلك أثرت في الحديث النبوي، فقد انتشرت هذه الكتب وكأنها تحوي علما حقيقيا لا جمعًا أسطورياً لما سبق الرسول من أحداث، ورواية قصصية لأحداث الرسول ولعلك تستطيع الآن أن تدرك سرَّ كلمة الإمام أحمد بن حنبل التي أوردها السيوطي في الجزء الثاني من الإتقان إذ يقول: "ثلاثة ليس لها أصل: التفسير والملاحم والمغازي أما التفسير فلأنه استمد معظم مادته من كتب السيرة وما تحكي من قصص وحكايات... وأما الملاحم فقد رأيت معي عند الكلام عن كتاب عبيدة أنّه روى على لسان تبع الأوسط بيتا تحكي حياته وأعماله، وأما المغازي فقد كُتبت كما رأينا كعمل قصصي يمثل الامتداد لما عرف العرب من قصص، وكتب السيرة كما رأينا

– ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، ط3، 1402هـ، 1982م، ص: 181، 182.

– ينظر، المصدر نفسه، ص:189، 190.

تمثل الركن الثالث في أركان القصة العربية في هذا العصر الذي أسميناه عصر التجميع، وفي الوقت نفسه تعتبر مرحلة الانتقال بين عصر التجميع هذا وبين عصر التدوين الذي يليه، وأحسب أنه من المفيد لنا أن نقف وقفة صغيرة عند أحد هذه الكتب نتعرف عليها تعرفًا واضحاً.

وأحسب أن أقرب هذه الكتب إلى اكتمال الصورة سيرة ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام .[1]

سيرة ابن إسحاق :

1- ينظر، فاروق خورشيد،الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3، 1982،1402، ص: 190، 191، 192.

لعلهُ من العجيب حقا أن ننظر إلى كتاب ابن هشام الذي يرويه عن ابن إسحاق نظرتنا إلى كتاب تاريخ حقيقي يؤرخ لحياة الرسول تأريخاً يراد منه وجه العلم والحقيقة وحدها[1]... ورغم أن كتاب ابن إسحاق نفسه ليس تحت أيدينا إلا أنّ رواية ابن هشام لكتابه تبين منهج ابن إسحاق توضح طبيعة عمله، فابن إسحاق ليس مؤرخاً بالمعنى العلمي لهذه الكلمة وإنما هو جامع ومحبوب... كانت السيرة قبله أجزاء متفرقة يروي كل من تناولها ناحية فجاء هو ليجمع هذه النواحي كلها في نهج متسلسل تاريخياً، والرواة الذين سبقوا ابن إسحاق ومنهم القصاصون وجامعوا الأساطير لم يقصدوا —كما بينا من قبل– التاريخ لذاته، وإنما كان عملهم —إلى حد كبير– محاولة لإشباع نهم العربي إلى القصص، وحين جاء ابن إسحاق فجمع كل هذا مؤلفاً بينه،ومكونًا منه أول كتاب في السيرة ، تعرض للاتهام والحملة عليه فنجد عالماً جليلاً كالإمام مالك ابن أنس وآخر كهشام بن عروة ابن الزبير يكاد أن يخرجانه من حظيرة المحدثين أهل الصدق والثقة، ونحن نرى أسباباً كثيرة لأمثال هذه التهم فيما يرويه ابن إسحاق من قصص تخرج عن حدّ المعقول، وتتعارض وطبيعة مُحَمَّد البشرية وحقيقة رسالته كل التعارض...فالصورة التي تخرج بها عن مُحَمَّد من كتاب ابن إسحاق أقرب إلى الصورة الأسطورية منها إلى الصورة التاريخية... فهو يدعو ربّه فينزل المطر، وحين يجلس تظلّه شجرة الأنبياء، وحين يسير تمنع عنه الشمس غمامه، إلى آخر ما في الكتاب من معجزات وعذر ابن إسحاق كما قلنا أنه يجمع روايات شتى يرويها أكثر من راوٍ، وفيهم من يتعشق الأساطير،وفيهم من يكتب الأساطير، إلاّ أنّ كلمة الفصل تأتي على لسان أحد المدافعين عنه إذ يقول ابن عدى: "ولو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنّه صدق الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها الاشتغال بالمغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه ومبتدأ الخلق لكانت هذه الفضيلة سبق بها ابن إسحاق"... فكتابه الاعتراف كتاب يصرف الناس عن ذكر ملوك الجاهلية وأبطال أساطيرها إلى ذكر رسول الله وغزواته... ومعنى هذا أنّ ابن إسحاق إنّما كان يجمع قصصًا عن الرسول ويرتبها ويبوبها يقدمها لنا متكاملة لتقف أمام

[1] ينظر،فاروق خورشيد،الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3،1982،1402،ص:194 ،195.

سير ملوك العرب ولعلنا بعد هذا نرتاح إلى كتاب ابن إسحاق لم يقصد منه إلى التاريخ ، وإنّما قصد منه إلى جمع القصص كما هي طالما استطاعت أن تؤدي دورًا في الكشف عن جوانب البطولة في حياة الرسول، وإبراز ملامح الكفاح في كل مراحل حياته، ثاني الأشياء التي تواجهنا ونحن نبحث مكان كتاب ابن إسحاق بين الكتب هي طريقة تأليفه للكتاب.. فابن إسحاق يبدأ كتابه بالتنويه بأنّه يعرض فيه لسيرة رسول الله مُحَمَّد ين عبد الله بن عبد المطلب.. فيبدأ بذكر نسب الرسول حتى آدم ويحدد موضوعه بما يتعلق بحياة الرسول ونسبه، كما أنّ ابن إسحاق يجمع السير التي لها علاقة بمحمد كإنسان وبمحمد كنبي، واهتمامه بمحمد الإنسان جعله يجمع ماله علاقة بنسبه وبيئته وجدوده، ونجد أن التشابه بين كتاب ابن إسحاق وبين غيره من كتب القصص العربية يكمن في طريقة سرد القصة نفسها، ونجد أنّ ابن إسحاق قد فهم سيرة مُحَمَّد ﷺ كما فهم وهب سيرة الحارث الجرهمي مثلا أو كما فهم عبيدة سيرة تبع الأوسط من حيث البناء والتركيب، ومن حيث منهج الرواية والتأليف وهذا يؤكد أنّ كتاب ابن إسحاق أقرب إلى العمل القصصي منه إلى العمل التاريخي العلمي القائم على البحث والمقارنة... ومن الأشياء التي تحدد مكان كتاب ابن إسحاق، موقفه مما يجمع من الأحداث وطريقة ربطه بينهما،فهو يحكي دخول اليهودية إلى بلاد العرب، ثم دخول المسيحية، ثم نشأة عبادة الأوثان ثم قلق أهل الجزيرة من قريش، وكل ما يرويه حول هذه الأديان يغلب عليه الطابع الأسطوري وعلى هذا الضوء يمكننا أن نفهم عمل ابن إسحاق فلا نظلمه كما فعل الإمام مالك بن أنس الذي لم يرضه عمله إذن نظر إليه [1]نظرة العالم الباحث عن حقيقة التاريخية العليمة ... وإنّما نضع عمله في المكان اللائق به ،أعني في قمة الأعمال القصصية الإسلامية والمثل المتكامل الذي يقدم الصورة الثالثة من صور عصر التجميع في الرواية العربية...

1– ينظر،فاروق خورشيد،الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3 ، 1982،1402 ،ص:196 ،197.

بل نستطيع أنّ نقول أيضا أنّه يمثل وحدةُ مرحلة الإنتقال بين الرواية العربية فبل الإسلام بمثلها وأبطالها، والرواية العربية الإسلامية التّي تطورت ونمّت ووصلت إلى قمتها فيما بعد...

والفضل في هذا كله يرجع إلى حسن ابن إسحاق المرهف الذي استطاع أن يستخرج من كل الروايات حول مُحَمَّد هذه السيرة المنتظمة المنسقة التي تحوي تاريخياً قصصياً جميلاً لحياة مُحَمَّد ﷺ...وإنّ كان نصيبها من التاريخ والحقيقة العلمية لا شأن لنا به.[1]

ملامح مرحلة التجميع:

1- ينظر،فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت،ط3،1402 ،1982ص: 201،202،203،204،205.

نحن نستطيع القول الآن بأنّ المرحلة الأولى في الرواية العربية والتي أسميناها ،بعصر التجميع تنقسم إلى أقسام ثلاثة:

1) الأساطير والروايات ذات المضامين الدرامية والتي عرفها العرب مع أبطالهم القدامى منذ خلق الله آدم إلى عام الفيل وأحداثه... ويقف على قمة القسم كتاب التيجان لوهب بن منبه... وهدف أصحابه يتجّه إلى الإمتاع من ناحية و إشباع حاجة العرب إلى أبطال يحوون جماع فضائلهم الحرية والنفسية.[1]

2)أساطير وروايات موجهة، أين راعى مجموعها أن تساير الروح الإسلامية، والعقلية الإسلامية، وأن لا تتعارض مع ما جاء بالقرآن من قصص إنّ كان الموضوع واحدا، فإن اختلف الموضوع فإن المضمون توجيهي إسلامي، يخرج دائما بحكمة لا تتعارض ومبادئ الدين الجديد ويقف على قمة هذا اللون كتاب أخبار ملوك اليمن لعبيد بن شرية الذي يحوي مجالسه مع معاوية.

3)حكايات السيرة وهي حكايات تتعلق بحدث واحد هو الإسلام، وشخص واحد وهو مُحَمَّد ﷺ. إلا أنّ هذه الحكايات تبدأ منذ يتخيل جامعوها أنّ هناك صلة بين ما يروون والرسالة الجديدة... فهي تأخذ من الكتب الأخرى ما يخدم هذا الحدث ويتركون ما عداه، فالأحداث عند أصحاب هذا اللون إنّما تخدم هدفاً واضحًا وحرية من يجمع القصص ليست مطلقة وإنّما هي مفيدة بما يقيد أحداث السيرة نفسها، ويقف على قمة هذا اللون كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق، الذي يمكننا أن نعده بحق أول عمل قصصي في الإسلام.

وسمات هذه المرحلة مرحلة التجميع تكاد تشابه في فهم الأحداث، ونحّب أنّ نوضح أن هذه المراحل الثلاث فيها من التشابك والإختلاط ما يجعل الفصل القاطع بينهما متعذرًا إنّما هي حدود

[1] ينظر،فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق ،بيروت ،ط3،1982،1402، ص: 206، 207

نحاول أن نضعها لتسهيل البحث وتفتح الطريق... وبعد فلعلنا استطعنا أنّ نرسم الصورة التي تخيلنا لهذا العصر الذي يعتبر بداية لظهور القصة لأدبنا العربي ...

ولسنا في واقع الأمر نريد من بحثنا هذا إلا أن يكون دافعاً للأساتذة المختصصين في معاودة النظر فيما قرروا من أمر النثر العربي والقصة العربية ، فيقدم لنا من أبحاثهم ما يراد اعتبار الأدب العربي ويضعه في مكانه من الآداب العالمية ذات الطابع الإنساني؟.[1]

مناقشة وردّ:

1 – ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية(عصر التجميع)،دار الشروق ،بيروت ،ط3،1982،1402، ص:208.

"الرواية العربية" دفاع عن أصالتها وامتدادها

إنّ موضوع الترجمة مجال لبحث شيق ولاشك إلاّ أنّ أراد صديق فاروق خورشيد أن يلفت نظره إليه هو ما تعرض له كاتب الدراسة من مناقشة طويلة حول الآراء التي ترددت في مدى تأثر الأعمال الروائية العربية المعاصرة بالترجمة تأثيرا مباشراً وكاملاً وفي هذا المجال يقول فاروق خورشيد أن كاتب الدراسة (متى موسى) قد تناول كتابه (في الرواية العربية، بالردّ المناقشة وقد قدم لدراسته عن الترجمة مسح نقدي للآراء التي تعرضت لأصول الرواية العربية المعاصرة، وأوضح من هذا التعرض أنّه يميل إلى الأخذ بالرأي القائل باعتبار الترجمة من الأدب الغربي هي الأصل الأول للأعمال القصصية العربية المعاصرة مخالفًا بهذا كل من سبقوهُ بمحاولة إرجاع القصة العربية المعاصرة إلى تأثرات بتراثها العربي القصصي القديم، وموضوع الترجمة وكيف بدأت ولماذا؟ ومن عمدها؟ ليس في موضوعي في شيء، وإن كان الذي بذل فيه شيقًا وموضوعيًا إلى حدّ كبير، ولكن الذي يلفت النظر هو ما ساقه من مناقشة لإثبات فضل عملية الترجمة الكامل على عملية الإبداع الروائي العربي المعاصر.

وقد اعتمد كاتب البحث على آراء لبعض الكتاب الدارسين تؤكد موقفه، كما اعتمد على ما كان مترسبًا في ذهن مجمل الدارسين من آراء حملها الجيل الأول من الدارسين العرب متأثرين بآراء أساتذتهم من المستشرقين، وينقل في بحثه قول المستشرق (جب) في كتابه دراسات في حضارة الإسلام، أنّ الكتاب العرب، وجدوا الميدان خالياً من أثار أدبية متشابهة للأعمال الروائية التي أورد إبداع شبيها تها، قد اضطروا تحت ضغط الحاجة إلى اللجوء إلى المصدر الذي يلبي حاجاتهم بترجمة الروايات الفرنسية الإنجليزية بدلاً من محاولة بناء أدب روائي جديد بما في ذلك من خلق شكل أدبي جديد خلقا تاماً واعتمادنا على الترجمة في ميدان القصة لا يعني إلا أننا كنا نتلمس معبرًا إلى [1]الحضارة في ميدان الأدب، وكفى الترجمة أنها وفرت لنا هذا المعبر، أما الإنتاج فشيء آخر مره أخرى... وما حاولنا إثباته في كتاب (في الرواية العربية الذي صدر عام 1959 هو أنّ

– ينظر، فاروق خورشيد،الرواية العربية (عصر التجميع)،دار الشروق،بيروت، ط3 ،1982،1402،ص : 213،214.

الإنسان العربي عرف القصص طوال تاريخه، وأننا ترجمنا ونقلنا وقلدنا في بعض الأحيان مورثات الحضارة العالمية في كليلة ودمنة وأسمار الليالي وغيرها، ولكن لم نقلدها ونحذى حذوها في الإنتاج الفكري العربي الرسمي أو الشعبي على السواء... وحين اتجه القصاص العربي إلى الملاحم النثرية في عنترة وذات الهمة وغيرها كان يطوع شكل الملاحم اليونانية لما يريد هو فخرج بشكل آخر مختلف تماما ومتغير تماما.

ويقول الأستاذ متى موسى في بحثه المنشور بالإنجليزية منذ شهور في (الفصلية الإسلامية):

"لقد أصّر فاروق خورشيد على أنّ الّفن الروائي والقصصي ليس جديدا على الإطلاق بالنسبة للعرب ولم يكن من بين الفنون التي استعارها العرب المحدثون تماما من الغرب في بداية نهضتهم الثقافية المعاصرة في أواسط القرن التاسع عشر عبر حركة الترجمة، وقد حاول أن يعضد أدلته على هذا تعضيدا حماسياّ ولكنه ليس يقينا بأن قدم نموذج يتمثل في قصة مضاض ومي ومن كتاب التيجان لوهب منبه وهو نموذج يقوم على موتيفة تعتبر عالمية إذ هي شبيهة بالموتيفة التي قام عليها عمل شكسبير في روميو وجوليت وبرنار دين دي سانت بيير في بول وفرجيني " ويستطرد قائلاً: " إلا أنّ نقطة الضعف الأساسية في نظرة خورشيد هي خلطه الواضح بين الحكاية أو الرومانسي الموجودة في الحكايات الموجودة قبل الإسلام أو الإسلامية والتي تتمثل في ألف ليلة وليلة وبين ملامح القصة والرواية ولكن أحد لا يمكن أن يقول أن قصصهم تشابه القصة كما نعرفها اليوم ومن المؤسف أن خورشيد لم يحاول أولا أن يوضح لنفسه تصوره للرواية إذ أن كتابة يبذل جهدًا ضخمً في إثبات مسلمة واضحة لا شك فيها"[1]

وهذا الذي يقرره الأستاذ متى موسى لو كان واضحًا كل هذا الوضوح ما إحتاج منه إلى مناقشة يستهل بها بحثه الذي نشير إليه ونستغرقه فترة طويلة من البحث ويجد من الضروري أن ينقضه بأدلته وشواهده قبل أن يستمر في دارسته حول حركة الترجمة الروائية وأثرها على الأدبي المعاصر...فالواقع أن

1متى موسى ، ترجمة الأعمال الروائية الغربية إلى العربية ،نقلا عن فاروق خورشيد ، الرواية العربية(عصر التجميع)،ص:220،219

القضية لم تكن قضية إثبات الشكل الأدبي بقدر ما كانت قضية إثبات وجود الفّن الروائي نفسه وهذه القضية كانت تحتاج إلى إثبات، وإلى إثبات مصر ومنخمس، فما كنا ندرس في أدبنا العربي في مناهج المراحل الأولى أو حتى في مناهج الدراسة الأدبية المتخصصة سوى الشعر وأغراضه وسوى النثر بصفته إمّا خطابة وإمّا رسائل، أمّا القصص فقد أغفلها أصحاب النقد من المناهج لما سبق عندهم من الآراء مثبتة بأقوال أو ليرى وجب وريناان وموجوليوث وغيرهم، وذلك أن الأدب العربي قد عرف صورة متكاملة من القصة قبل ذلك بكثير .

1ينظر، فاروق خورشيد، الرواية العربية (عصر التجميع)، دار الشروق، بيروت، ط3، 1402هـ، 1982م، ص 220.

دراسة وتقويم

دراسة وتقويم:

لعل أول مايلاحظه الباحث في هذا الكتاب هو عتبة العنوان "الرواية العربية عصر التجميع" بيدا أن هذا العنوان مضلّل تماماً فلا يجد المطلع عليه مطلقاً حديثاً عن الرواية بمفهومها الحديث، بل يجد حديثاً عن السرد العربي القديم بكل أشكاله في النثر والشعر و الملاحم الشعرية والسيرة النبوية وبعض القصص العربية إستعماله للفظ الرواية يقصد به رواية الأخبار قديماً كما لا حظناها في الكتب القديمة كالأغاني وألف ليلة وليلة وغيرها.

أمّا مصطلح التجميع فهو بدوره مضلّل إذ يعتقد المطلع عليه لأول مرة أنه يقصد التجميع كما معروف في دلالته،في حين أنّه يقصد به التدوين، مثلما دون الشعر وغيره من الفنون الأدبية بداية العصر العباسي.

والملاحظ أيضاً على هذا المؤلف أنّه ليس أكاديمياً بمعنى أنّه لم يخضع للمنهجية الأكاديمية المتعارف عليها وهذا بإعتراف منه في آخر عنصر من الكتاب،كون المؤلف فاروق خورشيد روائياً وليس أستاذاً جامعياً أو باحثاً أكاديمياً.

لم يأت باحثنا بالجديد في هذا المجال،فهو لم يحاول أولاً أنّ يوضح لنفسه تصوره للرواية إذ أن كتابه يبذل جهداً ضخماً في إثبات مسلمة واضحة لا شكّ فيها.

ثم إنّ فاروق خورشيد يرى أن كتاب "الرواية العربية عصر التجميع "قد تناول قضية غاية في الأهمية والخطورة،هي قضية إثبات الفّن الروائي القديم فقد دعا الدارسين إلى الإلتفات إلى ثروة هائلة كانت مرفوضة من قبل الدراسات العربية ويرى بأنّ هذه المحاولة كانت من أجل إعادة الإعتبار لأدبنا العربي ولإثبات قدرته الإبداعية فيما أنتجه من أعمال سردية تضع الأديب العربي في مصاف غيره من أدباء العالم المشاركين في التعبير عن آلام الإنسانية وطموحها وهذه القضية إنتقذها كلّ من مُحَمَّد مندور ومتى موسى فهما يريان أنّ هناك إختلاط في مفهوم القصة عند العرب وهذا بسبب القصور في العقلية

العربية،فالعرب قديماً لم يعرفوا سوى الشعر فهو ديوانهم وإنّ عرفوا النثر فكان عبارة عن رسائل وخطابة وسجع الكهان وهذا النوع من النثر لا يحفل بالإبداع الأدبي ولا القدرة على التعبير عن مشاكل الإنسان.

ولعل أيضاً من بين الإعتراضات التي توجه إلى الكتاب هو عدم إحتوائه على التوثيق أي أنّ الكاتب لم يوثق معلوماته في الكتاب رغم أهميتهما فقد كان كلامه مرسل دون دليل فالمنهجية العلمية تقتضي إثبات مصادر معلوماته،إضافة إلى عدم إحتواء الكتاب على خاتمة مقارنة بحجمه.

الخاتمة

خاتمة:

لقد توصلنا في نهاية دراستنا لكتاب الرواية العربية (عصر التجميع) إلى مجموعة من الأفكار التي أثرت رصيدنا المعرفي في مجال الأدب العربي عموما والنثر على وجه خاص وقد اتم إدراجها في النقاط الآتية:

1-النثر في الجاهلية كان يقوم على سجع الكهان،أمثال وخطب ورسائل ديوانية وإخوانية.

2 –حظّ الشعر كان أقلّ حفظاً من حظّ النثر.

3 –الكتابة والتدوين لم يكونا مجهولين في العصر الجاهلي والدليل أنّهم دونوا آثارهم كتابة ونقلت إلينا عن طريق الحفظ أو الرواية مثال المعلقات .

4 –القصة في الجاهلية كانت الفّن المفضل عند الغالبية العظمى.

5 –الرواية كانت تسمى بالأخبار في العصر الجاهلي،يتناقلها العرب فيما بينهم.

6-كتاب التيجان من الكتب القلائل التي وصلتنا لتمثل عصر التجميع.

7-تمكن العرب من الأدب شعراً ونثراً ولكن الشعر كانت له الصدارة وهذا راجع إلى طبيعة الإنسان العربي البدوي فهو يميل إلى ما هو صعب وفيه إعجاز.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1-فاروق خورشيد ،الرواية العربية (عصر التجميع) دار الشروق ،بيروت ،الطبعة الثالثة،1982،1402.

2-عزيزة مريدن، القصة والرواية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،دط،دت.

3-مختار ملاس ،تجربة الزمن في الرواية العربية،موفم للنشر ،دط،2007 .

4-مُحَمَّد عبد الحليم غنيم،رسالة دكتوراه حول :الفن القصصي عند فاروق خورشيد ،دراسة نقدية جامعة المنصورة ،كلية الآداب قسم اللغة العربية ،2001

5-أحمد فضل شيلول ، الحياة في الرواية (قراءات في الرواية العربية المترجمة)،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،مصر،دط،دت

6-نسرين طاهر ملك،النثر الجاهلي الإسلامي والأموي:دراسة تحليلية المجلد2 ،العدد1،يناير يونيو2014.

7-سعيد حسون العنبكي ،الشعر الجاهلي ،(دراسة في تأويلاته النفسيةو الفنية)،عمان ،دار دجلة ،الطبعة الأولى،2010.

8-مصطفى صادق الرافعي ،تاريخ آداب العرب ،بيروت،البطعة الأولى،1424هـ،2003م

9-أحمد علي الملأ،دراسة في علم العقيدة الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة ،برمكة، جانب الهجرة والجوازات ،دمشق.

10-نبيلة زويش ،تحليل الخطاب السردي في ضوء المنهج السيميائي منشورات الإختلاف،الطبعة الأولى، الجزائر ،2003م.

فهرس الموضوعات